موقفُ الخلافة العباسية من قيام دولة الأدارسة في المغرب الأقصى ١٧٢-٢٢٣هـ / ٧٨٨-٨٣٥م

د. عبد الرؤوف أحمد عرسان جرار
أستاذ مشارك /جامعة القدس المفتوحة / فلسطين

The Abbasid Caliphate's Position on the Establishment of the Idrisid State in Morocco 172-223 AH / 788-835 AD

Dr. Abd Al-Raouf -A- Jarrar
Associate Professor / Al-Quds open university /Palestine
ajarar@qou.edu

Abstract

The current study deals with the position of the Abbasid caliphate at the time of Harun al-Rashid from the Idrisid state, which was established in the Far Maghrib at the hands of Idris bin Abdullah, who fled from the Abbasids after the Battle of Fakh 169 AH.

Al-Rasheed had realized the danger of this independent emirate of an intellectual nature, who believed in the right of the Alawites to lead the Muslims, especially after he heard about Idris's expansionist plans. In order to control all the countries of the Maghreb, especially after the entry of Tlemcen under his rule and obedience to him, which was considered the key to the way to the Near Maghreb, when it became clear to Al-Rashid that Idris was striving for geographical expansion towards the east, this increased Al-Rashid's fears, that the Idris eradicate all the influence of the Abbasid countries in Morocco And then their influence extends to Egypt.

Perhaps these challenges that Al-Rashid stood before had confused him, and made him take a confusing position regarding them, especially after he made sure of the difficulty of carrying out any work of a military nature in those remote countries, and he saw - also - the impossibility of the success of that difficult and costly work financially and humanly, and these dimensions return Dangerous to the nature of the geographical areas, in which the Umayyad and Abbasid forces had faced many difficulties in confronting the rebellion movements, which were widespread in the countries of Morocco, and it is very difficult to send an army to eliminate this state; Because of the distance between the center of the caliphate in Baghdad and the far west, just as Idris I enjoyed great support and unparalleled support from the Berbers.

For this reason, historians attribute to al-Rashid the conspiracy to assassinate Idris I without a fight, by injecting a poisonous substance that had destroyed him, after his rule lasted three years, but his death did not eliminate the project of the Idrisid state. As the Berbers pledged allegiance to his young son named "Idris II", and it is noteworthy that the Idrisid state continued to prosper, until its rule - at the end of its reign - was succeeded by a number of weak princes, who lacked experience, strength of personality, and the ability to assume their rule, and thus be responsible. It collapsed internally and then externally; As this helped the Fatimids to eliminate them completely.

Keywords: Harun al-Rashid, Far Maghrib, Idrisid state, Abbasid caliphate.

الملخص

تتناولُ الدّراسةُ الحاليّةُ موقفَ الخلافة العباسيَّة "زمن الرشيد" من دولة الأدارسة التي قامت في المغرب الأقصى على يَدِ إدريس بنِ عبد الله الهاربِ منَ العبَّاسيينَ بعد معركة فخ ١٦٩هـ، وتُظهرُ الدِّراسةُ النَّجاحَ الكبيرَ الذي حقَّقه إدريسُ في إقامةِ إمارةٍ قويَّةٍ في المغرب الأقصى، التي سُمِّيَتْ باسمه.

وكانَ قد أدرك الرَّشيد خطرَ هذه الإمارة المُستقلَّة ذاتِ الطَّابع الفكريّ، الذي يُؤمن بأحقيَّة العَلويينَ في قيادة المسلمينَ، ولا سيّما بعد أنْ سمعَ عن مُخطَّطات إدريس التَّوسُعيَّة ؛ أَجْلَ السَّيطرةِ على كلِّ بلادِ المغرب، وبخاصّةٍ بعدَ دخولِ تلمسان تحتِ حكمه وطاعته، التي عُدَّتْ مِفتاحُ الطَّريق للمغربِ الأَدْنى، فلمَّا تبيَّنَ للرَّشيد أنَّ إدريسَ يَسعى جاهدًا للتَّوسُعِ الجغرافيّ اتَّجاهَ الشَّرق، زاد ذلكَ مِنْ مخاوفِ الرَّشيدِ، بأنْ يقضيَ الأدارسةُ على النُّفوذ العباسيّ في جميع بلاد المغرب، ومِنْ ثَمَّ يمتدُّ نفوذُهم إلى مِصْرَ.

ولعلّ هذه التَّحدياتِ التي وقف الرَّشيدُ حيالَها كانت قد أربكته، وجعلته يقف منها موقفًا محيّرا، وخاصّةً بعدَ أنْ تأكَّد من صعوبة القيام بأيّ عمَلٍ ذي طابعٍ عسكريّ في تلك البلادِ النَّائية، ورأى – أيضا– استحالةَ نجاحِ ذلك العمل الصّعب والمُكْلِفِ ماليّا وبشريّا، وتعودُ هذه الأبعادُ الخطيرةُ إلى طبيعةِ المناطقِ الجغرافيّة، التي كانتِ القوَّاتُ الأمويَّةُ والعباسيَّةُ قد واجهتْ فيها صعوباتٍ كثيرةً في التَّصدِّي لحركاتِ التَّمرُّدِ، التي كانتْ مُنتشرةً في بلاد المغرب، كما أنَّه منِ الصُّعوبةِ بمكانٍ إرسالُ جيشٍ للقضاءِ على هذه الدَّولةِ؛ لبُعدِ المسافةِ ما بين مركزِ الخلافةِ في

بغداد، والمغرب الأقصى, كما أنَّ إدريسَ الأوَّلَ كانَ يتمتَّعُ بتأييدٍ كبيرٍ، ودعمٍ منقطعِ النَّظير من الأمازيغ.

ولهذا، يَنْسِبُ المُؤرِّخونَ إلى الرَّشيد التَّآمرَ على اغتيال إدريس الأوّل دونَ قتالٍ، عن طريق دسِّ مادَّةٍ سامَّةٍ كانتْ قد قَضَتْ عليه , بعدَ أنْ دامَ حكمُهُ ثلاثَ سنواتٍ، ولكنَّ موتَهُ لم يَقْضِ على مشروعِ الدَّولة الإدريسيّة؛ إذ بايعَ الأمازيغُ ابنَه الصَّغيرَ المُسمَّى " إدريس الثَّاني"، ويُشارُ إلى أنَّ الدَّولةَ الإدريسيَّة استمرَّتْ مزدهرةً، حتى تعاقَب على حكمِها – في أواخر عهدها – عددٌ من الأُمراءِ الضِّعافِ، الَّذينَ كانتْ تَنْقصُهم الخبرةَ، وقوَّةُ الشَّخصيَّةِ، والقدرةُ على تَحمُّلِ المسؤوليّة، وبذلك، يكون حكمُهم قد انهارَ انهيارًا داخليًّا ثمّ انهيارًا خارجيّا؛ إذ ساعدَ ذلك الفاطميينَ على القضاءِ عليهم قضاءً مُبْرما.

الكلمات المفتاحية: الدولة العباسية، هارون الرشيد، الادارسة، المغرب الاقصى.

المقدمة:

تُحاورُ الدِّراسةُ الحاليَّةُ قضيّة مُهِمَّةً في تاريخ علائقِ المَشرق العربيّ ومغربه السياسيّة والفكريّة والعسكريّة، إذ تَدرسُ طبيعة العلاقات التي كانت سائدة بينهما، وتشرحُ مواقفَ الخلافة الأمويَّة من قيام دولةٍ في المغرب العربيّ، وتكشفُ عن موقفِ الخليفة الأمويّ هارون الرشيد من تأسيس دولة الأدارسة في المغرب العربيّ، بوصفها دولةً منعزلةً عن الخلافة، ومنافسةً لها، وتُظهر الدِّراسةُ، بوضوحٍ، أسبابَ عدمِ قدرته على اتخاذ موقفٍ عسكريٍّ حازمٍ ضدها.

ولعلّه من المفيدِ – في هذا المقامِ–ذكرُ أسبابِ التَّوتُّر الحاصلِ بين مركزِ الخلافة وبلاد المغرب العربيّ، فقد كانتْ بلادُ المغربِ في العصر العباسيّ ملجأً للهاربين والنَّاقمين على الدَّولة؛ لبُعدها عن مركز السُّلطة، فلجأتْ إليها – ابتداءً–المُعارضة الأمويَّة الدَّاخليّة، ثُمَّ المعارضةُ الخارجيَّة والعلويَّة.

ونلحظُ أنَّ أول الخارجينَ على سلطة الخلافة العباسيَّة كانَ إدريس بنُ عبد الله بنِ الحَسن، وهو الأخ الرَّابع لمحمد بنِ عبد الله – النَّفسِ الزَّكيَّة– الذي قد هرب بعدَ معركة فخ إلى مِصْرَ، ومنها إلى المَغرب الأقصى، و كان قد اختارَ الهروبَ هناك؛ لبُعد المغرب عنِ السُّلطة المركزيّة، وليجعلَ من مكانِه هناكَ مركزًا لنشاطِه السَّياسيّ والفكريّ، وقد انتهى به مطاف الهروبِ إلى وليلى في أقصى المغرب العربيّ، حيثُ وجد فيها مناخًا ملائمًا لدعوتِه؛ لكونها تحتوي على أعدادٍ كبيرةٍ من النَّاقمين على الحُكم العباسيّ، فوجد فيها ضالَّتَه ولا سيما عندَ قبيلة أوربة الأمازيغيَّة البرنسية، الَّذين آمنوا بدعوتِه إيمانًا شديدًا، ولا سيَّما بعدَ أنْ تأكَّدوا من انتمائه إلى البيتِ العَلويّ، ثمَّ وفدتْ

إليه وفودٌ كثيرةٌ مسلّمةً ومهنئةً ومباركةً وهو في وليلى، ومنها قبائل زناتة وزراعة ومكناسة وغيرها، ودخلوا في طاعته، وأظهروا ولاءَهم، ومحبتَهم لآلِ البيت العَلويّ.

والجديرُ ذكرُه، أنّ إدريسَ أنشأَ جيشًا كبيرًا من هذه القبائل التي ناصرته وأيدته، فتمكَّن–بعدَ ذلك–من فرض سيطرته على هذه البلاد سيطرةً تامَّةً، وإخضاع القبائل الأُخرى المعادية له، ولدعوته، وامتدَّت رقعة بلاد إدريس إلى أنْ شملت الأراضي التي تقيم فيها قبائل زناتة، وغيرها من القبائل المنتشرة من القيروان إلى المحيط الأطلسيّ، وبذلك، يكونُ قد تمكَّن من تأسيس دولة الأدارسة، التي كانتْ أول دولة مستقلة عملت جهدها على نشر الإسلام والحضارة العربية الإسلامية قي المغرب الأقصى.

ونشيرُ في هذا السِّياق إلى أنَّ أخبارَ نشاطاتِ إدريس الفكريّة والسياسية والعسكريّة قد تناهت إلى مسامع الخليفة الرّشيد، الذي صمّمَ على التَّخلُّص منه عن طريق السُّم، فقد مات إدريس مسموماً على يدِ أحدِ رجالاتِه الذي جنَّده الرَّشيدُ للقيام بهذه المَهَمَّة، وهو سليمانُ بنُ جرير – المعروفُ بالشَّماخ– في عام ١٧٧هـ / ٧٩٣ غير أنَّ موتَه لم يَقضِ على مشروع الدَّولة الادريسية؛ إذ بايع الأمازيغُ ابنَهُ الصَّغير المُسمى إدريس الثاني، ووكَّلوا أمرهم إلى مولى إدريس الأول، وتابعِه الأمينِ المُدعو "راشد"؛ ليقومَ بالحكم نيابةً عن الصَّبيّ "إدريس الثاني". ولمّا شبَّ إدريس الثّاني، وقويَ عودُهُ، التفَّ حولَه العربُ والأمازيغ على حدٍّ سواءٍ، وبايعوه بالخلافة، وذلك في عام ١٨٨هـ / ٨٠٣م، ممَّا قويَ شأنُ الدَّولة الإدريسيّة في عهدِهِ، وبنى لها عاصمةً جديدةً هي مدينة "فاس"، بعدَ أنْ رأى أنّ مدينة وليلى صغيرة على التطور الذي حدث لدولته؛ فقد ضاقتْ بجيشه وحشمه ووجوه أهل دولته.

وتجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ الدَّولة الأدريسيَّة ازدهرت ازدهارًا كبيرًا إلى أنْ تعاقبَ على حكمها – في أواخر عهدها–أمراءٌ ضعافٌ كثارٌ، الذين كانت تنقصُهم قوّةُ الشَّخصيّة، والخبرة السياسيّة، والقدرة على تحمُّل المسؤوليَّة، فانهار الحكم الإدريسيّ انهيارًا داخليًّا، واشتدَّت الأخطار عليه منَ الخارج، ولا سيّما منَ الفاطميين، الذين تمكَّنوا –بزعامة عبيد الله المهديّ–من دخول فاس، والقضاءِ على الحكم الإدريسيّ، بعد أنْ سيطر على هذه النواحي أكثر من قرنيْن.

مشكلة الدراسة:

تناقشُ الدّراسةُ الحاليّةُ مشكلةً محدّدة ثنائيّة المجاذبة، ويمتدّ أثرها وتأثيرها في مساحة جغرافيّة وسياسية طويلة، تتمثّلُ مساحة هذه المشكلة البحثيّة في دراستِها أسبابَ التَّوتُّر السِّياسيّ والفكريّ والعسكريّ بين مركز الخلافة في المشرق العربيّ، وحركات الانعزال عنها أو الانفكاك عن سلطتها

في المغرب العربيّ، كما أنّها تدرس حركات المعارضة من حيث الأسبابُ الفكريّة العقديّة والسِّياسيّة والنَّشاطاتُ التي قامتْ بها ضدَّ مركزِ الخلافة في المشرق، ولعلَّه – من الطبيعيّ– أنْ تظهرَ حركاتُ معارضةٍ للعباسيين من آلِ أبي طالب الهاشميين وأنصارِهم، وبخاصَّة العلويّون منهم، الذينَ يظنُّونَ أنَّهم المَعنيُّونَ بشعارِ آلِ محمَّدٍ، أو آلِ البيت، الذي رفعتْه الدعوة العباسية.

وتعودُ مشكلة الدِّراسة في الظهور بين العلويّين والعباسيّين إلى الإخفاقاتِ المُتلاحقة للعلويّينَ في المشرق الإسلاميّ، ولا سيّما بعدَ معركة فخّ التي وقعتْ بين العلويّين والعباسيّين، فكان من نتائجها الرّئيسة هروبُ إدريس بنِ عبد الله إلى بلادِ المغربِ، التي كانتْ مَسرحاً لأحداثٍ سياسيَّةٍ كبرى ومؤثرة في تاريخ الخلافة الإسلاميّة، وكانتِ المغربُ – منذ زمنٍ بعيدٍ– ملجأً للدَّعوات المعاديةِ للدَّولة الأُمويَّة والعباسيّة فيما بعد، فانتشرت حركاتُ المعارضة فيها تعمل على الانفصال عنها، فاستطاع إدريس الفارُّ من العباسيين أن يحقّقَ نجاحاً باهرًا وكبيراً، عندما أقام دولة بزعامته، وبمساعدة قبيلة أوربة الأمازيغيّة في بلاد المغرب الأقصى، ولعل الدِّراسةَ الحاليّة ستحاور مشكلة أسباب تمكُّن إدريس الأوّل– بمفرده بعد أن هرب من المشرق العربيّ إلى المغرب العربيّ– من تأسيس دولةٍ ناجحةٍ وقويّةٍ في ظروف صعبةٍ وغامضة.

ونلحظُ أنَّ طموحه السياسيّة والفكريّة لم تنحصر في بلاد المغرب العربيّ، ولكنه أخذ يتطلع إلى السيطرة على المشرق العربيّ، بعد أن قويت أجنحة دولته في المغرب ؛لإدخالِه تحت إمارته وسطوته؛ فوجَّه رسالةً إلى المصريّين يدعوهم فيها إلى طاعته، فأحسَّ الخليفةُ العباسيُّ هارون الرَّشيد بالخطرِ الذي يمثِّلُه إدريس، بوجوده على رأس تلك الدَّولة النّائية جغرافيّةً والقويّة سياسيا وفكريّا، التي تزدادُ قوّة بعد قوّة، وثراءً إثْرَ ثراءٍ، كما تشتد صلابة وحصانة مع مرور الأيام، بفضل تلك القيادة الحكيمة، والقبائل الأمازيغيّة الملتَفَّة حولها والحارسة على أمنها.

أهداف الدِّراسة:

تهدفُ الدِّراسةُ الحاليّةُ إلى تبيانِ طبيعة العلائق الثنائيّة بين الدَّولة العباسيّة في المشرق العربيّ، ودولة الأدارسة العلويّين في المغرب الأقصى، وتحاول أن تتعرَّف إلى الظروف التي مكّنتْ إدريس بنُ عبد الله الهارب من المشرق العربيّ إلى بلاد المغرب من تأسيس دولة فتيّة وقوية وثريّة، وتجتهد الدِّراسة الحاليّة في استقراء التّطورات السِّياسيّة والأحداث التي أدَّت إلى إنشاءِ كياناتٍ مستقلّة عن جسم الدولة العباسيّة في بلاد المغرب، كما أنَّ الدِّراسةَ الحاليَّةَ توضِّحُ الخلفية الفكريَّة و العقائديّة والسِّياسيّة لدولة الأدارسة، وتُظهر حجمَ دعم قبائل المغرب الأقصى لها.، وتحاول الدِّراسةُ تفسيرَ قدرات إدريس بنِ عبد الله الذاتيّة والفرديّة على إقامة دولةٍ ناجحةٍ في كلِّ المقاييس،

على الرّغم من أنّه لا تربطه بسكّان المغرب الأقصى أيّةَ علاقةٍ سوى الرابط الدينيّ الدين، والفكريّ، ونسبته لبيت الرسول– صلّى الله عليه وسلّم– وتقوم الدراسة الحاليّة بتلخيص الظّروف التي منعتِ الدَّولة العباسيَّة من استرجاع المغرب الأقصى استرجاعًا عسكريًا، وتبيان الطريقةِ التي تخلَّص بها الرَّشيدُ من إدريس بن عبد الله.

أسئلة الدِّراسة:

تجتهدُ الدّراسةُ الحاليّةُ أن تجيبَ عن تساؤلات رئيسة عديدة، يمكنُ حصرها بما هو آتٍ:

- كيفَ كانت علاقة الدَّولة العباسيَّة بالأدارسةِ العلويّين؟
- ما الظُّروفُ التي أدَّت إلى لجوء إدريس بنِ عبد الله إلى المغرب؟
- ما التَّطوُّراتُ السِّياسيَّةُ والفكريَّةُ التي أدَّت إلى انفصال الكيانات السِّياسيَّة عن جسمِ الدَّولة العباسية؟
- ما الخِلفيّةُ الفكريَّةُ والسِّياسيّةُ لدولة الأدارسة؟
- ما قدراتُ إدريس بنِ عبدِ الله الفكريَّة والسِّياسيّة العسكريّةُ التي جعلته يؤسِّسُ دولةً لا تربطه في سكانها أيَّة علاقة سوى رباط الدين الإسلامي؟
- ما سببُ علاقةِ العِداء المُتأصِّلة بين البيت العباسي والبيت العلوي؟
- ما الأسبابُ التي جعلتِ الرَّشيد عاجزًا عن استرجاع المغرب الأقصى عسكريّا؟
- ما الدَّورُ الحضاريُّ التي قامت به دولة الأدارسة في المغرب الأقصى؟

أهمِيَّة الدِّراسة:

تكمن أهمّيّة الدّراسة في كونها تُلقي الضَّوْءَ على جزئيّة مهمّة من تاريخ المغرب الأقصى؛ تتجسَّد في بحثِ علاقة الدَّولة العباسيّة بالأدارسة العلويّين، الذين أقاموا دولتَهم في تلك البلاد، التي استقلّت استقلالا كاملا وتماماً عن الخلافة العباسيّة في المغرب الأقصى، منذ العصر العباسيّ الأوَّل، الذي كانَ يمثِّل ذُرْوَةَ القوَّةِ للدَّولة العباسيَّة.

كما أنَّها شكلَّت خطرًا حقيقيًّا؛ لأنَّها تأسّست على أساسٍ فكريٍّ عقائديٍّ، يَدين لآلِ البيت العلويينَ بالولاءِ التامّ، والخضوع الكاملِ، معَ الإيمان بشرعيّتهم في قيادة المسلمين، وأنهم هم الأحقُّ في تولّي الخلافة منَ العباسيّين؛ الأمر الذي أغضبَ الرَّشيد، وجعله يأخذُ تدابيرَ لازمة أجلَ التَّخلُّصِ من قائدهم إدريس بن عبد الله.

وبالإضافة إلى ما ذُكرَ آنفًا، فإنَّ دولة الأدارسة كانتْ تُمثِّلُ أوَّل محاولةٍ ناجحةٍ قامت بها المعارضة الشيعيّة ووصولًا إلى السُّلطة المركزيّة، وكانت قد عجزت الدَّولةُ العباسيَّة عنِ القضاء

عليها، وأضرَّتْ كثيرًا هذه النّزعات الاستقلاليّة–دولةُ الأدارسة–بوحدة الدَّولةِ العباسيّة ضررًا شديدا، إلا أنَّها قامت بدورٍ إيجابيٍّ في نشر الإسلام، والحضارة العربية الإسلامية، في بلاد المغرب العربيّ.

المنهجية:

اعتمدتِ الدِّراسةُ الحاليَّةُ –منهجيًّا – على خطوات المنهج التكامليّ، الذي يعتمدُ على الاستقراء والمقارنة من خلال جمعِ المُعطيات والحقائق التاريخيَّة منَ المصادر والمراجع الموثَّقة توثيقًا علميًّا، وتحليلها ومقارنتها لإبراز الحقيقة وعرضها بدقة، فلا يمكن فهمُ الأحداثِ والمواقف وتَتَبُّعها دون الرجوع إلى الحقائق التاريخية ذات العلاقة بموضوعية.

فأخذتِ الدِّراسةُ منَ المنهج التاريخي بعضَ إجراءاته لترصد حالات التطوّر والتأثير بنوعيها الإيجابي والسَّلبيّ الذي شاب العلاقة الثنائيّة بين الخلافة العباسية ودولة الأدارسة، وتجمعَ كلّ المعطياتِ التاريخيّة، واعتمدت خطوات المنهج الوصفيّ في وصف طبيعة العلائق الفكرية والعقدية والسياسيّة القائمة بين الطرفين، ثم قامتِ الدراسة بتحليل هذه الأحداث تحليلاً تاريخيّا علميّا، وتفسيرها تفسيرً مبرزًا الحقيقة التاريخية.

- **علاقةُ العباسيّين بالأدارسة في زمنِ الرَّشيد.**

اتَّسمت علاقات العباسيّينَ بالأدارسة بسمةِ العداء، على الرَّغم من انتمائِهما لآلِ البيت النَّبويّ الشَّريف، ويرجع هذا العداءُ إلى طموح العباسيّين إلى إخضاع جميع أقاليم العالم الإسلاميّ تحت سيطرتهم، وتحقيق الوحدة في دار الإسلام؛ لاعتقادهم بأنَّهم همُ الخلفاءُ الشّرعيّين للمسلمين كافة، خصوصاً وأنَّ الخلافةَ نظريًّا وفقهيًّا لا يمكن أنْ تتجزَّأ، ولم يكن بوسع الخلافة العباسية مدَّ نفوذِها بقوّةٍ إلى المغرب الأقصى بعد انسلاخ أقاليم في المغرب عن الدولة العباسيَّة، وانشغال الخلفاءِ العباسيّين الأوائلَ بالمشكلات في شرقيّ العالم الإسلاميّ، وفضلاً، عن ذلك، خطرُ البيزنطيّين الدّاهمِ على حدود الشّام والعراق.

ويُلحظُ أنّه أصبح لدى خلافة بني العباس حافزٌ لاسترجاع سيطرتها على المغرب الإسلاميّ بعدَ أنّ أحسّت بهذه الأخطار المحدقة فيها؛ فنفذَّتْ حملاتٍ عسكريَّةً عدّةً في البداية، واتَّبعت سياسةَ التَّحالُفاتِ، وتطبيق اللامركزيَّة في حكم المغرب بوصفها وسيلةً لتخفيف حدّة هذه الأخطار، ولكنَّها لم تنجحْ في استرداد سلطانها على المغرب، وفوق ذلك، فإنَّ قيامَ دولة الأدارسة[١] جعلَ الخلافةَ العباسيَّة أمامَ خطرٍ مباشَرٍ على إفريقية ومِصر[٢]، وفي صدامٍ مباشرٍ مع دولة الأدارسة في المغرب الأقصى.

ويُشار في هذا السّياق إلى أنَّ سياسة بني العباس العدائيّة ضد العلويّين جعلتْ قادةَ البيت العلوي يفرّون إلى أماكنَ بعيدةٍ عنْ مركز الدَّولة، ناجين بأنفسهم، بعدَ فشل ثوراتهم ضدَّ العباسيّين[٣]، وأصبحت بلاد المغرب مكاناً آمناً لهؤلاءِ الشّيعة الفارّين، حيث دخلوا المغرب فرادى، فوجدوا فيه تُربةً صالحةً لهم لإعلان دعوتِهم[٤]، وكان من بين الفارّين إدريس بن عبد الله، الذي نجح في تأسيس دولته في المغرب الأقصى، وراودته فكرة الانتقام لِما حلَّ بالعلويّين من مجازرَ في الشَّرق على أيدي أبناء عمومتهم العباسيّين، الَّذينَ عَدّوهم غاصبينَ للخلافةِ الإسلاميّة.

وعلى الرَّغم من جهود العَلويّين في تأسيس الدَّعوة الإدريسيّة، الَّتي أَسفرت عن سقوط الخلافة الأمويَّة سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م, وساعد على بلورة هذه الأفكار والطموحات قيام ثوراتٍ علويَّة ضدَّ بني العباس, وانتشار التَّشيع حتى بين ولاةِ العباسيّين وعمالِهم، وقد استاءَ الخليفة هارون الرَّشيد من قيام دولة الأدارسة، التي اقتطعت جزءًا من دولته[٥] وشكلَّت خطرًا على مستقبل دولة بني العباس، لذلكَ، رأى الرَّشيد أنَّه منَ الصَّعب إرسال جيش للقضاء على هذه الدَّولة؛ لبُعدِ المسافة بين مركز الخلافة في بغداد والمغرب, ولأن إدريس الأول يتمتع بتأييد كبيرٍ من الأمازيغ, وينسب المؤرّخون إلى الرّشيد التآمر على اغتيال إدريس الأوَّل بمادَّة سامَّةٍ قضت عليه, بعد أنْ دامَ حكمُه ثلاثَ سنواتٍ[٦].

ونشيرُ في هذا السياق إلى أنَّ ثورات العَلويين ضدَّ العباسيّينَ استمرّت قبلَ خلافةِ الرَّشيد وبعدها، وكان أكبرُ هذه الثَّورات وأخطرها على الخلافةِ العباسيَّة ثورةَ النَّفسِ الزَّكيّة، وأخيه إبراهيم حتى أنَّ أبا جعفر سمَّى نفسَه بالمنصور بعد انتصاره على ثوراتهم.

وكان قد ثارَ محمدٌ بنُ عبدِ الله، بن الحسن، بن الحسن، بن علي، بن أبي طالب–المعروفِ –بالنَّفس الزَّكيَّة–في الحجازِ سنةَ ١٤٥ هـ/٧٦٩م للهجرة مُطالباً بحقِّه في الخلافة، فأيَّد أهلُ الحجاز ثورتَه[٧]، وكانَ من بين المُؤيدين لثورته الإمامُ " مالكُ بنُ أنس" الذي أفتى عندَ قيامِ الثورةِ بأن بيعة أبي جعفر المنصور لا تلزم؛ لأنَّها أُخذت على الإكراه[٨]، و جَرَتْ بينه و بين أبي جعفر المنصور رسائلَ[٩] طويلةً جميلةً، تدلُّ على جلالةِ الرَّجليْن ومحلّهما منَ العلم[١٠]. ثمَّ بعث محمدٌ أخاهُ إبراهيمُ إلى البصرة؛ ليثور في العراق، فتغلَّب إبراهيم على البصرة، والأهواز، وفارس، و بعثَ عاملاً إلى اليمن[١١] و يُسمَّى بالمهدي[١٢]، وعندما علِم المنصور بخروج محمدِ بنِ عبدِ الله سيَّر إليه جيشاً بقيادة ابن أخيه عيسى بنِ موسى لقتاله، والقضاء على حركته، فخندَّق محمدٌ على نفسِه في المدينة، وظلّ يقاتل مع قلَّة من أتباعه بعد أنْ تخلَّى عنه أهل المدينة، إلى أنْ قُتِلَ في رمضان[١٣]

١٤٥هـ/٧٦٢م. وأمَّا إبراهيمُ فالتقى بجيش المنصور في باخمرى في قتال عنيف، انتهى بهزيمة إبراهيم، ومقتله في ذي القعدة[١٤] سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م.

ويُجْدر القول بأنَّ العَلويّين لم يستسلموا، وأخذوا ينتظرون الفرصة المناسبة للثورة على الخلافة العباسية من جديد، وبعد أنْ آلت الخلافة إلى الهادي بن المهدي سنة ١٦٩ للهجرة/٧٨٥م، ثار العَلويَّونَ في مكة والمدينة بقيادة الحسين بن علي، بن الحسن، بن علي؛ بسبب سوء معاملة عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر عامل الهادي على المدينة [١٥].

بُويع الحسين بالخلافة في المدينة، وأقام فيها أحدَ عشَرَ يومًا، ثمَّ سارَ إلى مكَّة، فالتقى معَ الجيش العباسيّ بقيادة سليمان بن منصور[١٦] بفخ[١٧] أثناءَ موسمِ الحجِّ، فانهزمَ العلويون، وقتل الحسين مع معظم أصحابه[١٨]، وفرَّ خالُه إدريس بن عبد الله، بن الحسن، بن الحسن، بن علي،بن أبي طالب إلى المغرب[١٩] لاشتراكه في هذه الثورة[٢٠]، وهناك، أخذ ينشرُ دعوَةَ العَلويين الشِّيعية الزَّيْدية [٢١]، كما فرَّ أخوهُ يحيى نحوَ المَشرق إلى بلاد الدَّيْلم جنوبيْ بحر قزوين، ونجح في إثارة أهل تلك البلاد على الخلافة العباسيّة[٢٢] إلى أن تخلَّصَ منه الرَّشيد بالحِيلة دونَ إراقةِ قطرةِ دماءٍ على يَدِ الفضلِ بنِ يحيى البَرْمكيّ، وبذلك، انتهتِ الدَّعوة الزَّيْديَّة منَ الدَّيْلم فترةً منَ الزَّمن[٢٣].

ونشيرُ في هذا السِّياق إلى إدريسَ بنَ عبد الله –بعدَ هذه الأحداث التي هزَّت كيانِ الدَّولةِ العباسيَّة–هرَبَ منَ الحِجاز مُتخَفِيًّا بين قوافلِ الحجَّاج العائدةِ إلى مِصْرَ، وبصحبته مَوْلاه راشد[٢٤]، بعدَ أنْ غيَّرَ ملابسَهُ، فألبَسَه ملابسَ خشنةٍ، وعَمامةً غليظةً، وصيَّرَه غلامًا يقومُ على خدمتِه، فإنْ أَمَرَهُ و نَهاهُ أسرعَ إليه، حتى دخلا مِصْرَ ليلاً[٢٥].

والجديرُ ذكرُه أنَّ المُؤرِّخينَ كانوا قد اختلفوا في تحديد كيفيَّة وصول إدريس إلى المغرب، لكنَّ معظمَهم ذكرَ أنَّه كانَ على بريد مِصْرَ شخصٌ اسمُه "واضح"[٢٦]وهو مَوْلى صالح بن منصور، ويُعرَفُ بواضحِ المِسكين، حسَبَ روايةٍ لابنِ خلدون، و كان متشيّعًا لآلِ عليّ، ولمَّا بلغَه وصولُ إدريسَ إلى مِصْرَ، ذهبَ إلى المكانِ الذي كان مُخْتَفِيًا فيه[٢٧]، فنقلَهُ على البريدِ إلى المَغرب، فنزلَ في مدينة وليلى[٢٨] من أَرضِ طَنْجة[٢٩] في المغرب الأَقصى، فتصادفَ وصولُه رغبةَ المَغاربةِ الشَّديدةَ إلى تأسيس دولة مستقلَّة عنِ المَشرق استقلالاً تامًّا، كما فعلَ أهلُ الأندلس قبلَ ذلك، ويُشارُ – هنا – إلى أنَّهُم كانوا يبحثون عنْ زعيمٍ مناسبٍ لهم؛ ليكوّنَ الوِحْدة المغربية، وكان العَلويُّونَ – ومنهم إدريس – يَرَوْنَ أنَّهم أَحقُّ بالخلافةِ مِن بني العبَّاس، فانتهز إدريس هذه الفرصة السَّانحة، وأظهر دعوتَه الشِّيعيَّةَ المعتمدةَ على المَذهب الزَّيديّ، وباحَ بسرِّه حوْلَ تأسيسِ الدَّولة الجديدة [٣٠]

الّتي يُريدُ تأسيسَها، وبذلك، التقت مصالحُ سكَّان المنطقة مع مصلحة إدريس بشأن تأسيس دولة توحِّدُ المغرب تحت لوائِها.

لم يكنْ سكَّانُ المَغرب بمعزل عمَّا يجري في المَشرق، وإنْ بَعُدتْ بينهم المسافاتُ [٣١]، فقد كانوا يأتونَ إلى المشرق طلباً للعلم، أو لأداء فريضة الحجّ، ثُمَّ يعودونَ لأوطانهم، وقد حملوا معهم صورًا من نزاعات المَشرق و نزعاته الدِّينية، وكان منَ الأفكار الدِّينيّة الفكرُ الزَّيْديُّ الشِّيعيُّ، وهو مبدأُ إدريس، والنّزاعُ السِّياسيُّ بينَ العبّاسيين والطّالبيين، وكان البربر يتأثرون في كلِّ ما يجري بوطنهم منَ الانقسام السِّياسيّ والاختلاف الدِّينيّ، مثلَ ما يَحدثُ في المَشرق، و لذلكَ، عرَفُ الأمازيغُ الفكرَ الزَّيديَّ، وسمعوا عن اضطهادِ بني العبَّاس للعَلويّين، ويحتملُ أنَّ إدريس فتش في المغرب عن متشيّعين لآل بيت النَّبيّ الشَّريف[٣٢]، و منْ أجلِ ذلكَ، تنقَّلَ في أماكنَ عدَّةٍ حتى وجد ضالَّتَهُ في صاحب وليلي إسحق بن محمد بن عبد الحميد[٣٣] أميرِ أوربة وكبيرها، فأجارَهُ وأكرمَهُ، وجمعَ الأمازيغَ على القيام بشؤونِ دعوتِه، وخلْعِ طاعةِ العباسيّين، واجتمعَ عليه عددٌ كبيرٌ منْ أهل المغرب، وبايعوهُ، وقاموا بأمره[٣٤] متشرّفينَ بخدمته طِوالَ حياته، لمَّا رأوْا فيه صفاتٍ حسَنَةً، فقد كان " رجلاً صالحاً، مالكاً لشهواتِهِ، فاضلاً في ذاتِهِ، مُؤْثِراً للعَدْل، مُقْبلاً على أعمالِ البِرّ "[٣٥]، ممَّا سهَّلَ عليه كَسْبِ مزيدٍ منَ الأتباع، إذْ إنَّ شيوخَ قبيلةِ أوربة كانوا مُستعدِّين لتأييد إدريسَ؛ ليقودَهم إلى ثورة عارمةٍ أَجْلَ التَّخلُّصِ من تسلُّط برغواطة[٣٦]، وينشئ لهم دولةً تشابهُ دولة الأباضيَّة في تاهرت إلى حدٍّ كبيرٍ، وكانت قرابته منّ الرَّسول – صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ– سببًا في تأليف القلوب إليه، وبالإضافة إلى ما حَلَّ بالعَلويّين من قتلٍ و تنكيلٍ[٣٧] على أيدي الأَمويين، ومِنْ ثَمَّ، العباسيونَ، ولهذا، التفَّ الأمازيغُ حوْل إدريسَ بحماسٍ منقطِ النَّظيرِ، وإخلاص عامرٍ بالحبِّ الدِّينيّ العقديّ.

ومنَ الجدير بيانه في هذا السياق، أنّ ثمّةَ قبائلَ أمازيغيّةٍ عديدةٍ كانت قد أيّدت إدريس معظم في دعوتِه، ولعلّ من أشهرها زواغة، وسدراتة، وغياثة، ونفزة، ومكناسة، وغمازة، وجاءَهُ أُناسٌ من جميع أنحاءِ المغرب[٣٨] مجتمعينَ على دعوته، ومؤيّدين ثورتَه، ومن الممكن القولُ بأنَّ دعوةَ مَولاه راشدٍ لرجلٍ منْ أهل البيتِ النَّبويّ الشَّريف كانت كافيةً لحَشْدِ هذا العددِ الكبيرِ من المُؤيّدين، وتكمنُ حنكتُهُ بأنَّه كانَ يعرِفُ أنَّ مكانَ القوَّةِ الحقيقيّ يَكمنُ في وسَطِ قبائل أوربة، وأنَّ مدينة وليلى كانتْ مركزًا تجاريًّا، وأنَّها تصلُحُ لدعوةٍ سياسيَّةٍ [٣٩].

نُلحظُ – في هذه الأونة –بدءَ مرحلةٍ جديدةٍ لتأسيس الدَّولة الإدريسيَّة، ولا سيّما بعدَ انضمام هذه الأعداد الكثيرة من القبائل إلى الدَّعوةِ العَلويّة، وتقديم أشكلاً عدّة من الدّعم والمناصرة على وِفقِ الأهداف التي أخذها الإمامُ على عاتقه، التي تتَّفقُ مع رسالة آلِ البيتِ النَّبويّ الشَّريف،

والقائمة على نشْرِ الإسلام، والدَّعوةِ إلى الجهادِ في سبيل الله[٤٠]، ومن أجلِ ذلكَ، كوَّن جيشًا كبيرًا ليقومَ بهذه المَهمَّة[٤١].

ولعلَّ ما يدلُّ على نشر إدريس للدعوة الإسلامية بين الأمازيغ أو البربر غير المسلمين في المغرب العربيّ واستحكام دولته، واستقرارها، إغارتُهُ على أراضي تامسنا و حصونها، فأخضع شالة، وامتدَّ نفوذُه حتى تادلا[٤٢]، ويؤيّدُ هذا الاستنتاجَ ابنُ خلدون في قوله: "ولمَّا استوثَّقَ أمرُ إدريسَ و تمّت دعوتُه، زحف إلى البرابرة الَّذين كانوا في المغرب على دين المجوسيّة واليهوديَّة، والنَّصرانيَّة، مثل قندلاوة، وبهلوانة، ومديونة، ومازار، وفتح مدينة شالة، وتادلا، وكان أكثرُهم على دين اليهوديَّة والنَّصرانيَّة، فأسلموا على يديه طوعًا و كُرْهًا، وهدَمَ حصونَهم"[٤٣] ثُمَّ زحف بعد ذلك إلى تلمسان، وكانت تسكنها قبائلُ بني يَعْرُب، ومغراوة سنة ١٧٣ هـ/٧٨٩م، و لَقِيَهُ أميرها محمد بن حرز، بن حزلان فدخلَها صُلْحًا، وأعطى إدريس الأَمانَ لأهلها وأميرها، وأقرَّهُ على السُّلطة، وبنى فيها مَسجداً[٤٤].

ثمَّ –في سنة ١٧٤ للهجرة ٧٩٠م –توجَّهَ بعَسْكرِهِ إلى رباط تازا، فوجدَ في جبالِها معدن الذهب، وأجابته جميعُ القبائلِ العربيّة، وأطاعوه، وبايعوه في تلك السَّنة، وكَمُلَتْ له الإمارة [٤٥]، و ضرَبَ إدريسُ السِّكةَ "العُملة" باسمه في مدينة ترغة[٤٦].

نذكرُ أنَّ إدريسَ بعد أن قويت شوكتُه، وعَلَتْ دولتُه شأنًا في المغرب العربيّ، أخَذَ يتطلَّعُ نحوَ الشَّرق العربيّ؛ لإدخالِهِ تحتَ إمارته، وإخضاع بعض مدنه إليه سلمًا أو حربًا، فوجَّه رسالةً[٤٧] إلى المصريّين يدعوهم فيها إلى طاعتِهِ [٤٨]، وقد وصلت أخبارُ إدريسَ إلى الخليفة هارونَ الرَّشيد، وما بلغه من قوّة وإخضاع مُدن المغرب، و دخول البربر في دائرةِ طاعته، فعَظُمَ على الرَّشيد ذلك، وخشيَ أنْ يقضيَ الأدارسة على النفوذ العباسيّ في إفريقيّة و طرابلس، و خافَ أنْ يسيطروا على مصر، و كانَ لذلك صداه العميق في المشرق، ممَّا زادَ من قلق الرَّشيد، و أخذ يفكِّرُ في اللجوء إلى القوَّةِ للقضاء على دولة إدريس النَّاشئة، ولكنَّ هذا الأمرَ لم يكن سهلاً على الخليفة، فنفوذ العباسيين لم يتجاوز حدود مِصرَ الغربية [٤٩]، فاستشار الرَّشيدُ وزيرَهُ يحيى بن خالد البرمكيّ، فقالَ له: "إنَّ إدريسَ ملك تلمسان، وهي بابُ إفريقيا، ومن ملَكَ البابِ، أوشكَ أنْ يملكَ الدَّارَ"[٥٠] فأشار عليه يحيى بأن يبعث رجلاً ذا حزْمٍ و مكْرٍ، وجرأَةٍ؛ ليغتالَ إدريسَ بما استطاعَ منْ حِيلة[٥١].

يبدو أنّ الرَّشيدَ اقتنعَ برأي وزيرِهِ، ووكَّلَهُ بتدبير الأَمْر، فأغرى يحيى البرمكيُّ أحدَ شيعةِ آلِ "أبا طالب" بالمالِ الوفير، ويُدْعَى سليمانُ بنُ جريرِ الشَّماخ، و كانَ زَيْديًّا مُتعصِبًا للعَلويّين[٥٢]، واتَّصف بالشَّجاعة، والدَّهاء، والفصاحة، ووعدَهُ الرَّشيدُ عندَ الانتهاءِ من هذه المَهمَّة بالمنزلةِ

الرَّفيعة، وأعطاهُ أموالاً كثيرةً، وتُحَفًا نادرةً، وجهَّزه بما له حاجةُ إليه[٥٣]، وبعثَ معه رجلاً يثق به، وبشجاعتِه، فانطلقا من بغداد، و هو يدّعي أنه طبيب، حتى وصل[٥٤] إلى وليلى فاتَّصل بإدريس[٥٥]، فسأله عن اسمه، و نسبه، ووطنه، وسبب قدومه إلى المغرب، فأخبره أنَّه من موالي أبيه، وأنَّه عَلِمَ بخبرِه، فقصدَهُ لخدمتِهِ، وذلك لمحبتِهِ لآلِ البيتِ العَلويّ الشَّريف، فسُرَّ به إدريسُ، واتَّخذَهُ صاحبًا، ونديمًا؛ لأنَّه لم يَجِد أحدًا من أهل المغرب نديمًا ولا خادمًا خاصًّا له؛ لأنَّهم جُفاةُ الطَّبعِ– ما وجدَهُ عندَ الشَّماخ[٥٦] وكانَ إذا اجتمعَ لدى إدريس، وجوهُ القبائلِ قامَ الشّماخ، وذكرَ فضائلَ أهلِ البيتِ النَّبويّ الشَّريف، وعظمَّهم، و ذكَرَ بركاتِهم، وأقامَ الأدِلّةَ والبراهين على أحقيَّةِ إدريسَ بالإمامة دونَ غيرِه، فكانَ إدريسُ، والنَّاسُ يتعجَّبونَ من فصاحتِهِ، وعلمِه[٥٧].

وأخذَ الشّماخُ يتحيَّنُ الفُرَصَة المناسبةَ لاغتيال إدريسَ بالسُّمِّ، لكنَّها لمَّا تسنحْ له؛ لأنَّ مولاهُ "راشد" لا يفارقُهُ، وظلَّ الشماخ يترصَّد له متأهبًا، إلى أنْ غابَ مولاهُ راشدٌ ذاتَ يومٍ، فدخلَ على إدريسَ، فوجدَهُ وحدَهُ، فجلسَ كعادتِهِ، و تحدَّثَ معه على انفرادٍ، وقال:" يا سيدي، جُعِلْتُ فداكَ، إنِّي جئتُ منَ المشرقِ بقارورة طيبٍ، أتطيَّبُ بها، ثُمَّ إنِّي رأيتُ هذه البلادَ ليسَ بها طيب، فرأيتُ أنَّ الإمامَ أوْلَى بها مني، فخُذْها تتطيَّبَ بها، فقد آثرتُكَ على نفسي، وهوَ مِن بعضِ ما يَجِبُ لك عليّ من حقوق"[٥٨]، وأخرجَها منْ وعاءٍ كانَ معه، ثُمّ وضَعَها بين يديّه، فتشكَّرَهُ إدريسُ، ثُمَّ فتحَها، وشمَّها، واستعملَها، فلمَّا رأى الشّماخ أنَّه قام بالمَهمَّة، التي وُكِّلَ بها، خَرجَ منْ عند إدريسَ، كأنَّه يريدُ قضاءَ حاجةِ الإنسان، و كانَ قدْ أعدَّ فرسًا للنَّجاةِ بنفسِه.

ويُشارُ في هذا السِّياقِ، إلى أنَّ القارورةَ كانتْ مسمومةُ بسمٍّ قوِيٍّ، فلمَّا استنشقَه إدريسُ أُغميَ عليه، وسقَطَ على الأرضِ لا يتكلَّمُ، ثُمَّ تَوفَّاه اللهُ، و كانَ ذلك في آخر ربيعِ الأوَّلِ سنة ١٧٥/٧٩١م للهجرة[٥٩] و في رواية الطَّبريّ، وابنِ خلدون، أنَّ إدريسَ شكا إلى الشّماخ عِلَّةٍ في أسنانِه، فأعطاه سنونًا[٦٠] مسموماً قاتلاً، و أمرَه أنْ يستنَّ به عند طلوع الفجر لليلته، فلما طلَعَ الفجرُ استنَّ إدريسُ بالسَّنون، وأكثرَ منه فقتلَه[٦١]. على كل حالٍ، فإنَّ الرّوايات[٦٢] جميعُها متفقةٌ على أنَّ إدريسَ ماتَ مَسْموما – بغضِّ النَّظرِ عنِ الطَّريقة التي وُضِعَ له السُّمُّ بها– ولكنَّ الدَّكتورَ سعدَ زغلول عبد الحميد كانت آراء عدّة في ذلك، فقد قالَ: "ومنَ الجائزِ أنَّ قصَّةَ اغتيالِ إدريسَ بهذا الشَّكلِ غيرُ صحيحةٍ؛ فالرّواياتُ لا تختلفُ فقط في الطَّريقة التي سُمَّ بها إدريس، بل ثمَّةَ رواياتٌ أُخرى لا تَنْسِبُ تدبيرَ ذلكَ إلى الرَّشيد، و يحيى البرمكيّ فقط، بل اشتركَ في الاغتيالِ إبراهيمُ بنُ الأغلبِ بوصفِهِ واليَ إفريقيا والمغرب، و بناءً على ذلكَ، فليس منَ الغريب أنْ يكونَ أنصارُ إدريسَ و شيعتُه قد أرادوا له أنْ يموتَ شهيداً بدلاً منْ حتْفِ أنْفِه، ففي ذلكَ، استدرارٌ لعطفِ الجماهير على

الأُسْرةِ العَلويَّة، التي يُهدَرُ دَمُ أفرادِها غدرًا في المغرب، بعدَ أنْ أُريقَ في المَشرق، هذا كما يمكنُ أنْ يكونَ الأمرُ من نسْجِ خيالِ كتَّابِ العبَّاسيّين أنْفُسِهم، الَّذين جعلوا من الرَّشيد – فيما بعد– شخصيَّةً أسطوريَّة تُحيطها هالةً منَ الغرائب والعجائب"[٦٣] وقدْ أوردَ الطَّبريُّ أبياتاً منَ الشعر[٦٤] لأحد شعراء البلاط العباسيّ، كان قد وصفَ فيها قُدرة الرَّشيدِ على التَّخلُّص منْ أعدائه، وهو جالسٌ في قصره، ودونَ أنْ يحرّكَ عساكرَه، وأنَّ القَدَرَ طوْعُ رغبَتِه[٦٥].

ونشيرُ هنا، أنَّ راشدًا مَولى إدريسَ كان قدْ انتبه لغيابِ الشّماخ، فركِبَ فرسه باحثًا عن أثرِه، و سائرًا في طلبه، حتى أدركه في وادي ملوية، فاختلفت بينهما ضربتان قطَعَ فيهما راشدٌ يدَ الشّماخ، ولكنّه نجح بالهرب، واجتازَ الوادي[٦٦] سالمًا؛ بسبب تعثُّرِ فرس راشد، و فرَّ إلى العراق، وفي روايةٍ أُخرى فرَّ إلى إبراهيم بنِ الأغلب عاملِ الرَّشيدِ على المغرب، فولَّاه بريدَ مصرَ[٦٧]. وفي رواية أُخرى أنَّه قدِمَ على الرَّشيد فولَّاهُ بريدَ مصر[٦٨]، ودُفن إدريسُ خارجَ بابِ و ليلى، ليتبرَّكَ النَّاسُ بمرْقَدِهِ[٦٩].

والدراسةُ الحاليّة تطرحُ للتَّحاور تساؤلاتٍ عدّةً حوْلَ أهدافِ فرار إدريس بن عبد الله إلى المغرب، التي منها:

- هل كانَ إدريسُ قصدَهُ مُجرَّد النَّجاة منَ القتل؟
- وإذا كان الأمرُ كذلك، فَلِمَ تعمّقَ في نشرِ الدعوةِ الشّيعيّةِ في المغرب؟
- أمَا كانَ يكفيه أنْ يختفيَ في قبيلة غير خاضعة لولاة العباسيّين؟
- هل كانتِ الدَّعوةُ مُنتشرةً في بلاد المغرب قبل ذلك؟

وتُظْهِرُ الدِّراسةُ الحاليّةُ معطيًا تاريخيًّا مفادُهُ أنّ شخصيّةَ إدريسَ كانت لا تقبلُ أنْ تفِرَّ إلى مكانٍ بعيدٍ طلبًا للحماية الشَّخصيَّة، وهو أجلُّ قدرًا منْ أنْ يرضى بالخمول أو مجرّد الهروب، وأشرفُ نسبًا منْ أنْ يندمجَ في البربر اندماجا محايدا، ولعلّ الاحتمالَ الأكبرَ في تفسير ذلك، أنَّه ذهب إلى المغرب إظهاراً للدعوة العَلويَّة، آملاً في تأسيس دولة علويّة، إذ يئس العلويّون من تحقيق ذلك في المشرق، وانقطعت ثقتهم بالعرب، لغدرهم بهم في كثير من المواقع، ويحتملُ أنَّ إدريس رأى أنَّ العباسيّين انتصروا بالفرس، فأراد أنْ ينتصرَ بالبربر[٧٠].

وثمّة روايةُ تغايرُ كلَّ ما قيل، وتتَّجه إلى تحليلٍ آخرَ، كان قد انفرد بذكرها الأشعريُّ في مقالاتِ الإسلاميينَ، التي تفيدُ أنَّ إدريس قد بعثَهُ إلى المغرب أخوه محمدٌ؛ لنشر الدّعوة العلويّةِ قبل ذلك، إذ يقولُ الأشعريُّ: " ثمَّ خرجَ محمدٌ بنُ عبدِ الله بالمدينة، و بويع له في الآفاق، فبعث إليه أبو جعفر المنصور بعيسى بن موسى، و حميد بن قحطبة، فحارب محمدٌ حتى قُتِل، و مات تحتَ الهَدْم أبوهُ عبدُ الله، بنُ الحسَن، بن الحسن، وعلي، بن الحسن، بن الحسن، و قُتِلَ بسببِه

رجالٌ منْ أهل بيتِه، ووجَّه محمدٌ بنُ عبد الله أخاهُ إدريسَ بنَ عبدِ الله إلى المغرب، و لولَّاهُ هناك مملكة"[٧١]، ثمَّ يذكرُ الأشعريُّ ثورةَ إبراهيمَ أخا محمدٍ و إدريسَ قبلَ أن يتطرَّق إلى ثورة الحسين بنِ علي، الَّتي انتهت بموقعة فخ، إذاً، وحسَبَ هذه الشّهادة، والقرائنِ منْ أصولٍ زيديَّة معتزلةٍ تكونُ علاقةُ إدريسَ بالمغربِ أقدمَ ممَّا ذَكَره معظمُ المُؤرّخينَ[٧٢].،إذ يقولُ الأشعريُّ: " ثمَّ خرجَ بعدَ محمدٍ بنِ عبدِ الله، بنِ الحسن، بنِ الحسن، بنِ علي، بنِ أبي طالب في البصرة، فغلَب عليها، وعلى الأهواز، وعلى فارس، وأكثر السَّواد[٧٣]، وشخص إلى البصرة، في المعتزلة، وغيرهم منَ الزَّيْديَّة يريدُ محاربة المنصور، ومعه عيسى بنُ زيد بن علي بن أبي طالب، فبعث إليه أبو جعفرِ المنصور عيسى بنَ موسى، وسعيدًا ابنَ سلم، فحاربهما إبراهيمُ حتى قُتِلَ، وقُتلتِ المعتزلةُ بين يَديْه"[٧٤].

يبدو أن ما دفع الرواة إلى تأخير تاريخ وصول إدريس، و ربط ذلك بمعركة فخ لا بثورات سابقيه هو العزم على فصل إدريس عن المحيط الذي تربى فيه، و هو محيط الدعوة الزيدية المعتزلية[٧٥] ومن الممكن أن إدريس ذهب إلى المغرب وبعد فشل ثورة أخواه محمد وإبراهيم رجع الى المشرق وشارك في معركة فخ وبعد هزيمة خاله الحسين امام القوات العباسية هرب الى المغرب وبدأ يجمع الاتباع والمؤيدين لدعوته.

إمامة إدريس الثاني:

نشيرُ في هذا السياق إلى أنّ إدريسَ بنَ عبدِ الله توفاهُ اللهُ دونَ أنْ يكون له أولاد، ولكنَّه تركَ جاريةً من جواريه اسمها كنزة حاملاً[٧٦]، فجمعَ راشدٌ قبائلَ الأمازيغ، وذكر لهم ما كان من أمر هذه الجارية، فقالوا له: " أيُّها الشيخُ المبارك، تقومُ بأمرنا كما كان إدريسُ يفعل فينا، حتى تضعَ الجارية، فإن وضعتْ غلاماً ربيناه، و بايعناه تبركُّاً بأهل البيت، بيت النَّبوة، وذرية رسولِ اللهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم– وإنْ كانتْ جارية نظرْنا لأنفسنا"[٧٧] فشكرَهم راشد، وقامَ بأمرهم حتى وضعتِ الجاريةُ سنة ١٧٥/ ٧٩١ هـ طفلاً يُشبه أباه، فأخرجه راشدٌ إلى رؤساءِ القبائل وسمَّاه باسم أبيه تيمُّناً، وتولى رعايتَه، وأحسنَ تأديبَه، وأقرأَهُ القرآنَ، وأحفظه إيَّاه، وهو ابنُ ثماني سنين، كما علَّمه السُّنَّة، والفقه، وسِيَر الملوك، وأشعار العرب، ودرَّبَه على الفُروسيَّة، والرِّماية، والمُصاولة، والمُجاولة[٧٨]، و لما أتمَّ إدريسُ الثاني إحدى عشْرةَ سنةً بايعوهُ في مسجدِ و ليلى[٧٩]، والأرجح أنَّه بويع إدريسُ ثلاثَ مرَّات:

- الأولى سنة ١٨٦ هـ/ ٨٠٢ م بعدَ أنْ تجاوزَ الحاديةَ عشْرةَ من عُمُرِه، وهو تحت الوصاية.
- والثانية سنة ١٨٨هـ / ٨٠٤ م بعدَ أنْ اجتازَ الثَّالثةَ عشْرةَ من عُمُرِه.
- والثّالثة الّتي سمَّاها "البيعةَ الكُبرى" سنةَ ١٩٢ هـ/ ٨٠٨ م بعدَ بناءِ العاصمة فاس[٨٠].

وكان هدفُ إبراهيمَ بنِ الأغلبِ الرّئيسُ التَّخلُّصَ من معلمّه ومربّيه راشد مولى إدريس، فاتَّصل بأحد خدم راشد من البربر، وأغراه بالمال، فقام بقتلِ راشد، وفي ذلك قال إبراهيمُ بنُ الأغلب أبياتاً من الشعر[81]، يخاطبُ الرَّشيدَ بها، ويكذِّبُ ادِّعاءَ محمد بن مقاتل العتكي، الّذي نَسَبَ إلى نفسِه محاولة قتل راشد، و تولى رعاية إدريس الثاني أبو خالد زيدُ بنُ إلياس العبديّ[٨٢].

ولو أردنا أنْ بحثّ عن سببِ لجوءِ الخلافة العباسيّةِ وعُمَّالِها إلى سياسةِ الاغتيالاتِ دونَ استعمالِ القوّةِ العسكريّةِ لمعارضيهم، لوجدناهُ متمثِّلاً في قوّةِ الأدارسة، وحسْنِ تَرابُطهم، وتوحّدهم، ممَّا أعجز الخلافةَ العباسيّةَ عن مواجهتِهم عسكريًّا، أو قد يكونُ عدمُ قدرةِ جيشِ الدّولةِ على التَّحرُّك إلى غَرْبِ العالمِ الإسلاميّ، رُبَما لطولِ المَسافة، ووعورةِ طريقها، أو رُبَما أنَّ العبَّاسيّين لم يكونوا مَقبولين لدى قبائل الأمازيغ السَّاكنة في تلك المناطق، التي كانت قد تأثرت بدعوى العَلويين، واتّبعتِ الفكر الزَّيدي، الذي كان منتشراً في تلك المناطق، وكان ينبغي لإدريسَ الثاني أَجْلَ نشْرِ مبادئ المذهب الزيديّ، وتثبيتِ أقدامِ سلطته على المغرب، أنْ يعملَ في اتِّجاهيْن اثنين، هما:

الأوّل: بناءُ مدينةٍ تكونُ قاعدةُ للدّعوة[٨٣]، وقد فكّر إدريس الثّاني في بناء مدينة بعد أن أصبحت وليلى لا تتسع لحاشيته، وبعد أنْ وَفَدَ عليه مهاجرون عربُ كثيرون؛ ليدخلوا في خدمته، ورُبَما كانَ يريدُ التَّحلُّلَ من سلطانِ قبيلة أوربة[٨٤]، بعد أنْ قتلَ زعيمَها إسحقَ بنَ محمَّدٍ لمَّا أحسَّ بموالاتِه لإبراهيمَ بنِ الأغلب[٨٥].

وقد تجوَّل إدريسُ الثّاني في الأرض باحثًا عن مكانٍ يريدُ أنْ يسكنه، فوقع اختياره على مكانٍ في المحرّم سنة ١٩١هـ/٨٠٦م مناسبٍ في وادي سبو بالقرب منَ الينابيع السَّاخنة المعروفة بحمّة خولات، التي تسمّى اليوم باسم سيدي حزازم، وهي على بُعدِ ١٥ كيلو متراً شرقي مدينة فاس، وتذكرُ الرِّواية أنَّه بدأ العمل فعلاً، واستحضر الموَّاد اللّازمة للبناء، غيرَ أنَّ مخاوفه من عواقب الفيضانات الفصلية للنهر، أجبرتْه على إهمال مشروعه، أمَّا المحاولةُ الثّانية فقد كانت من اختيار وزيره عميد بن مصعب، إذ اختار للمدينة أرضاً مغطاة بأعشاب جافة، متشابكة، ومغمورة بالمياه الجارية، ويَعْبُرُها نهرٌ تغذّيه ينابيعُ مجاورةٌ.[٨٦]

وتجدرُ الإشارةُ هنا إلى أنّه كان موضعًاً لبني بوغش، وبني الخير من وزاغة[٨٧]، وكان أكثر بوغش على دين المَجوسية، فكان لهم بيتُ نارٍ، وكان بعضُهم الآخرُ على دين اليهوديّة، ودين النّصرانيّة.

ونذكرُ أنّه قد اشترى منهمُ المكان بستة آلاف درهمٍ، شراءً وليس تملُّكًا جبريًّا، فَرضَوا بذلك، ودفعَ لهم الثَّمن، وأشهدَ عليهم بكتابٍ كتَبَه أبو الحسن عبدُ الله بنُ مالكِ الخزرجيّ، كاتب إدريس

الثاني [٨٨]؛ ليكونَ مكانَ مدينة فاس[٨٩] فكان تأسيسها في أول يوم من شهر ربيع الأول سنة ١٩٢ للهجرة ٨٠٧م، وقد بلغت منَ التَّمدُّن والرُّقيّ ما جعلَها تُنافس المُدنَ الإسلاميّة الكُبرى، مثل قرطبة وغيرها[٩٠]، ومدينة فاس مدينتان بينهما نهرٌ كبيرٌ يأتي من عيونٍ تسمَّى عيون صنهاجة، وعليه في داخل المدينة أرحيَةٌ كثيرةٌ تطحنُ الحنطة، والمدينة الشمالية تسمّى القرويين، والجنوبية الأندلس، ماؤها قليلٌ، يشقُّها نهرٌ واحدٌ، وأمَّا مدينةُ القرويين فماؤُها كثيرٌ يجري في كلِّ شارعٍ، وفي كلِّ زقاق، وفي كلِّ بيتٍ ساقيةٌ.[٩١] وأصبحت فاسُ عاصمةَ دولة الأدارسة من سنة ١٩٦ للهجرة/ ٨١١ م و انتقلتِ الدَّولة الإدريسيّة إلى الدَّوْر الحاسم من حياتها[٩٢] و بذلكَ، يكونُ إدريس الثاني قد أنشأ عاصمة عربية في بلاد الأمازيغ، كما فعلَ عقبة بن نافع في تأسيس مدينة القيروان، فكانت فاسُ قيروانَ المغرب الأقصى[٩٣].

الثاني: نشْرُ تعاليمِ الإسلامِ، والتَّركيزِ على فضائلِ أهلِ البيتِ النَّبويّ الشَّريف، قام الأدارسة بنشر الدعوة الإسلامية في الجزء الشَّمالي منَ المغربيْن الأوسط والأقصى، أيْ، أن الدعوةَ الزّيديّة انتشرت من شمال المغرب من تلمسان إلى المحيط الأطلسيّ، ومن البحر الأبيض المتوسط إلى ثغر شالة، ودخلت إلى المنطقة المؤدية إلى سوس من حدود تادلا إلى مشارف الأطلس الكبير، وأخذت تلك البلاد صفة التَّشيُّع، والتَّعلُّق بآل البيت النَّبويّ الشَّريف[٩٤]، ممَّا أدَّى إلى زيادة قوَّة الدَّولة الإدريسيّة، التي عجزت دولة الأغالبة عن القضاء عليها[٩٥] وبقيت تسيطر على مناطق واسعة في المغرب، كما بدأ إدريس الثاني بشنِّ حمْلاتٍ عدّةٍ ثبَّتَ بها سلطة الدَّولة من تلمسان إلى ساحل المحيط الأطلسيّ، فحارب الخوارج في جبال أطلس، وحارب البرغواطيين، و كان الدّور الأكبرُ في هذه الحروب لقبيلتيْ أوربة وغمارة[٩٦].

استحداث الرَّشيدِ دولةَ الأغالبة:

لا مناص من ذكر موقف الرّشيد ممّا المغربِ، مقارنة مع مواقف الأمراء العباسيين السابقين، فهم كانوا ينظرونَ إلى إفريقية على أنَّها بلدٌ بعيدٌ عن مركز الخلافة، ويعيش فيها جماعاتٌ متعدِّدةٌ متحاربةٌ متعادية، بعضهم سُنَّة, وخوارج, وشيعة, وعرب, و بربر[٩٧]، ولكنَّ الرَّشيدَ كانَ حريصًا على بقاء المغرب متَّصِلاً بدولته، وقد عَلِمَ ضعْفَ الأمراء السَّابقين عن مقاومة ثوَّار المغرب, فأحدث الرّشيدُ دولةَ الأغالبة[٩٨] ؛ لتكونَ سَدّاً منيعًا في وجْهِ الدُّوَلِ المُستحدَثةِ في المغرب[٩٩]، وتَدينُ بالولاءِ السِّياسيّ والتَّبعيَّة الاسميَّة لدولة الخلافة, وعلى الرَّغم ممَّا تمتَّعتْ به من استقلالٍ ذاتيٍّ, لذلك، كانت العلاقات بين الأغالبة والأدارسة دائما في اضطراب, وكانت سياسة الأغالبة تجاه الأدارسة مُتبنيَةً سياسةَ بني العباس اتّجاه العلويين؛ لأنَّهم عدّوا الفكر الشِّيعي في جميع أشكاله

الأكثر خطورة على خلافة بني العباس من الفرق الأخرى، وخصوصاً، أنَّ ممثلي الشيعة قد نشروا مبادئهم في المغرب الأقصى, وجانباً من المغرب الأوسط, على أيدي دعاة يُرجَع نَسبُهم إلى الحسن بن علي بن أبي طالب في بدايات العقد الأخير من القرن الثامن الميلادي(١٠٠).

وقد تطلَّع إدريس بن عبد الله إلى توحيد المغرب, وكان – من الطبيعي أنْ– يخشى الخلفاءُ العباسيّون من مطامع الأدارسة في المغرب ومصر, فاستجاب الرَّشيد لطلب إبراهيم بن الأغلب تكوين دولة الأغالبة في المغرب الأدنى؛ حاجزاً بين البلاد الخاضعة للدولة العباسيّة، وبلاد الأدارسة في المغرب الأقصى, الذين كانوا يتطلّعون إلى فصل المغرب عن بقية العالم, ويهدفون إلى توحيد المغرب والمشرق تحت قيادتهم(١٠١).

ونستنتجُ – ممّا ذُكِرَ آنفًا – أنَّ إقامةَ دولةِ الأغالبة ما كان إلا ردةَ فعلٍ مباشَرٍ منَ الرَّشيد على نشاط الخوارج، وقيام الدّولة الشّيعيّة الإدريسيّة في المغرب؛ إذ كان الهدف الأول لدولة الأغالبة الوقوفَ بوجهِ النَّشاطِ الإدريسيّ الموجَّه نحوَ الشرق، وفي الوقتِ نفسِهِ، كانتِ الخلافة، بأمسِّ الحاجة لإعادة الهدوء، وعدم إشغال جيوشها في حروب بعيدة عن عاصمة الخلافة ليتاح لها التفرغ لمتابعة سياستها الحربية ضد البيزنطيين، التي بلغتْ ذروتُها في عهد الرشيد(١٠٢)، وأمام هذه الأخطار لجأَ العبّاسيّون إلى إسناد حكم المغرب إلى أُسرة قوّية موالية لهم، تشكِّلُ خطَّ دفاعٍ أوّل عن مصّر، وتستردّ النُّفوذَ المَفقودَ في المَغرب، لذلك، منحَ الرَّشيد إبراهيمُ بنُ الأغلب صلاحياتٍ واسعةً تؤهِّلُه لمواجهة أخطار الخُصوم بسرعةٍ وحزْم(١٠٣).

ويُلحظُ أنّ خصوصيّة العلاقة بين الأغالبة والخلافة العبّاسية بعد استقلال دولة الأغالبة، لم يمنعِ الخلافةُ منَ التَّدخّل في بعضِ شؤونِها، كما أنَّ الأغالبة لم ينسوا إظهار ولائهم لبغداد، وارتباطهم بالخلافة حتى آخر أيامهم، فقد كانت انتصارات الأغالبة الكبيرة تصل أخبارها إلى بغداد، وكان للخليفة نصيبُه منَ المغانم والسَّبي، وهكذا، تمتَّعت دولةُ الأغالبة باستقلال مع استمرار ارتباطها بالخلافة بعلاقات معنوية قوية، إلى جانب روابط مادية لا بأس بها، وإنْ كانت محدودة(١٠٤).

والجديرُ ذكرُهُ، أنَّ الأغالبة استطاعوا منَ الوقوف في وجهِ الأدارسة، وصدِّهم من التَّوسُّع شرقًا (١٠٥)، وعلى الرَّغم منْ أنَّ هذا العِداء لم يُتَرجمْ قطُّ لنشاطٍ عسكريٍّ فعليٍّ، نظرًا لقصورِ في قوَّة كلٍّ منَ الدَّولتين عن الإطاحة بالأُخرى، هذا فضلاً عن منظومة التّوازُن التي حكمتِ العلاقات كافة، بين قوى المغرب في تلك الفترة، ولم يؤدِّ التَّنافُس والصّراع بينهما إلى تغييرٍ في خارطة المغرب السّياسية، يُضافُ إلى ذلك تأثير العامل الاقتصاديّ الكامنِ في التَّبادُل التَّجاريّ بين سائر

دول المغرب، الأمر الذي خفَّف من تصعيد الخلافات السّياسيّةِ والاختلافات الفكريَّة[١٠٦]، وهذا ما يفسّر ترجمة العِداء السِّياسيّ بينَ الأغالبة والأدارسة إلى صيغ وصور أخرى، كالتَّآمُر، والاغتيال، وتشجيع المتمرّدين، واستمالة رؤساء القبائل، وأصحاب الشَّأن.

وثمَّةَ رواياتٌ تشير إلى أنَّ ابنَ الأغلب شارك في اغتيال إدريس الأول، كما استمال كبيرُ أوربة أبو ليلى إسحق بن محمد الأوربي، لكنَّ إدريسَ الثاني اكتشف ميلَ إسحق لابن الأغلب فقتله[١٠٧] في السادس من ذي الحجة سنة ١٩٢هـ[٢] ٨٠٧م، واستمال ابنُ الأغلب بهلول بن عبد الواحد المضغري من خاصة إدريس، وأركان دولته، وكاتبَه ابن الأغلب، وأغراهُ بالمال حتى بايع الرَّشيد، وانحرف عن إدريس الثاني، واعتزله مع قومه، فصالحه إدريس، وكتب إليه شعراً[١٠٨] يحذره من مكر ابن الأغلب ويستعطفه، وكتب إدريس إلى إبراهيم بن الأغلب يدعوه إلى طاعته، أوِ الكفِّ عنِ التَّدخُّل في شؤون ناحيته، ويذكره في كتابه[١٠٩] بقرابته من رسول الله – صلّى الله عليه وسلم –[١١٠]، ثمَّ تصالحَ إدريس الثاني مع ابن الأغلب، وعُيِّنتِ الحدودُ بينهما في وادي شلف[١١١]، وبذلكَ، يكون الأغالبة قد عجزوا عن مدافعة الأدارسة، فقاموا بالقدح بنسب إدريس الثاني إلى أبيه إدريس الأول[١١٢] والعمل بالخفاء للنيل من الأدارسة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

تنفَّسَ الأدارسةُ الصِّعداءَ بعدَ وفاة ابنِ الأغلب سنة ١٩٦هـ/٨١١م، إذ خلَفَه ابنُه أبو العبَّاس، الذي انشغل في حرب الخوارج، فاستغلَّ إدريسُ الثَّاني هذه الظُّروف؛ لتوطيدِ دعائم حكمِهِ الَّذي زعزعته العصبيّة، فنجحَ في استعادةِ ولاءِ أوربة، وقاد جيوشه لتأكيد نفوذِهِ في بلادِ المصامدة، والسَّيطرة على خطوطِ التِّجارة معَ السُّودان، ونجحَ في فرض سيادتِه على تلمسان، وقد كان بإمكانه التَّوسُّع في المغرب[١١٣]، لكنَّ انتهاء حكم المغرب إلى زيادة الله[١١٤] الأول الذي اعتلى سُدَّة الحكم بعد أخيه أبي العباس[١١٥] أَحبطَ مشروع إدريس الثاني، على الرغم من مشاغل زيادة الله الدّاخل، وصراعه معَ البيزنطيين في صقلية، وفتور علاقته مع بني العباس، ويقولُ ابن خلدون في ذلك: "إنَّ زيادة الله " بعث إلى إدريس يأمره بعدم تجاوُز حدِّ التخوم " على الرغم من أنَّ التَّوسُّع الإدريسيَّ في تلك النَّواحي كانَ على حساب دولة بني رستم".

ويبدو أنَّ تطاوُل إدريسُ الثَّاني كانَ من أسبابِ تحسين علاقة زيادة الله الأوّل بالخليفة العباسيّ المأمون، الذي أراد أنْ ينتقص من سلطات الأمير الأغلبي، ويبدو أنَّ المأمون، كذلك، أحسَّ بتعاظمِ قوَّة إدريس الثاني، فأصبح بإمكانِ زيادة الله الأوَّل اتِّباع سياسة والده من إحكام المكائد للأدارسة، فقد أقدم الأميرُ الأغلبيُّ على ترتيب مؤامرة انتهت باغتيال إدريس الثاني، رغم شكوك بعض الدارسين، ويقول الدكتور محمود إسماعيل أنَّه لا مُبرِّرَ لهذة الشكوك لسببين، هما:

الأول: أنَّ أسلوبَ الاغتيالَ السَّياسيَّ كانَ شائعًا في العلاقات الإدريسيَّة، كانَ سبقَ أنْ شاركَ إبراهيمُ بنُ الأغلب في مؤامرة إدريس الأول ومولاه راشد.

وثانيها: إجماع المؤرِّخينَ القدامى على صحَّةِ واقعة الاغتيال(١١٦)، فيقولُ ابنُ الآبار: " إنَّ زيادةَ الله بن إبراهيم بن الأغلب هو الذي احتالَ عليه حتى اغتاله"(١١٧)، ويؤكَّد ابنُ عذاري أنَّ إدريسَ الثَّاني أنَّه " توفي مسمومًا سنة ٢١٣هـ"٨٢٨م (١١٨).

يُلحظُ أنَّ هذا المصدرَ لم يذكرِ التَّفاصيل، ومن المحتملِ، أنَّ زيادة الله وكّلَ عمليَّةَ الاغتيال هذه إلى معتزلة المغرب الأقصى، وبخاصةً أنَّ الاعتزال كان – في ذلك الوقت– الفكرَ الرَّسميَّ للدَّولة العباسية في زمن المأمون والمعتصم والواثق، وكذلكَ، كان فكر دولة الأغالبة في المغرب أيضا، وهكذا، كانت العلاقات بين دولة الخلافة العباسية والأدارسة في المغرب تسودها سلسلةٌ متعددة من المُؤَامرات والمكائد، والاغتيالات(١١٩).

النتائج:

ثمّة نتائج توصلت إليها هذه الدِّراسة، بعد الإجابة عن التساؤلات الرئيسة التي بُنيَتْ عليها، ويمكن سردها في الفقرات الآتية:

- لم تنقطع ثورات العلويين بعد تولّي أبناء عمومتهم العباسيّين الخلافة، وإعلانهم بأنَّهم أحقُّ بها منهم، وقابلَ العباسيون ثورات أبناء العمومة مقابلةً شديدةً وقاسية.
- تعدُّ دولةُ الادارسةِ أوَّلَ دولةٍ علويّة هاشميّة قامت في المغرب الأقصى، ومذهبُها هو الزَّيديَّة، وهو أقرب مذاهب الشِّيعة إلى أهل السُّنة، لكنَّ الدكتور حسين مؤنس يرى أنها دولة سنيَّة وهو يقول: " من الأخطاء الشائعة القول بأنَّ دولة الأدارسة دولة شيعية؛ لأنَّ مؤسسيها وأمراءها كانوا من آل البيت، والحقيقة أنَّ الأدارسة على الرّغم من علويّتهم، لم يكونوا شيعة، بل لم يكن أحد من رجال دولة الأدارسة، أو أتباعهم شيعيًا، فقد كانوا سُنَّةً، فكانوا لا يعرفون الآراء الشيعية التي شاعت على أيّام الفاطميين، ولم يعرفوا في بلادهم غير الفِقْه السُّنيّ المالكيّ، ومنَ البدَهِي، أنَّ آلَ البيتِ لا يمكن أن يكونوا شيعة لأحد، أمَّا الشِّيعةُ فهم أنصارهم، والوصف الصحيح لهذه الدولة هو أنَّها كانت دولة علويّة هاشميّة، وهي أوّلُ تجربةٍ نجحَ فيها أهل البيت في إقامة دولة لأنفسهم".
- قامَ الأدارسة بدورٍ أساسٍ في تطوير المغرب الأقصى، وعلى الرَّغم من عَداء خلفاء بني العباس لهم مدّةً تزيدُ عن قرن، وكان قد حُوِّلَ المغربُ في عهدهم – تحويلًا فاعلًا– إلى

عهد الإسلام الذي عملوا على نشره في أنحاء مختلفة من البلاد، وأسهم الأدارسة في خدمة المسلمين إسهاماً عظيما؛ عن طريق تثبيت ديانة الإسلامِ للأمازيغ، فكان ظهور دولة الأدارسة مقدِّمةً لظهور دولة المُرابطين، الذين أكملوا ما بدأه الأدارسةُ في تثبيت إسلام الأمازيغ، ونشر الإسلام في غرب أفريقيا في عهدهم، وجرَتْ أوّلُ محاولة لتجاوز القبلية تجاوُزًا رسميّا، وذلك بتأسيس دولةٍ على النَّمط الإسلامي، لها حاضرتها وعاصمتها مدينة فاس، فكان يُعدُّ عملُهم بمنزلةِ أوّلِ انطلاقةٍ فعليَّةٍ للدَّولة المغربيّة في التَّاريخ، كما عملوا جاهدينَ على تطوير هذه الدولة الناشئة تطويرًا عمرانيًّا؛ وذلك باستحداث مُدُنٍ جديدةٍ، أو إنعاشِ المُدُن القديمة، بتنشيط الحركة التَّجاريّة فيها، وإنشاء عدد من المساجد والمدارس؛ لنشر الإسلام، وتعليم اللغة العربيَّة، في جهات مختلفة من المغرب.

- كانَ الأدراسة عندَ حسْن ظنِّ أهل المغرب بهم ؛ إذ طبقوا أحكام الإسلام تطبيقًا كاملًا ودقيقا، وكانوا قريبين منَ النّاس ومن همومهم، ومصالِحهم ومشاكلهم، فكانَ يناقشها الإمامُ حينما يجلسُ لهم بعدَ كلِّ صلاةٍ، وفي أوقاتٍ محدَّدةٍ، يحكمُ بينهم، ويعالجُ مشاكلَهم، ويعلِّمُهم القرآنَ، وأحكامَ الإسلام، ويتفقَّدُ أحوالهم الصِّحيَّة والمَعيشية، ويَحضرُ حفلاتِ الزّفافِ في أفراحهم، ويشاركهم في تشييع موتهم، ويزور أراملَهم وأيتامَهم، ويعودُ مرضاهم، ويواسيهم عند أحزانهم مواساةً متواضعةً تواضُعًا لم يشهدْه أهلُ المغرب من حكامٍ آخرينَ قطُّ.
- اتّخذَ الرَّشيدُ موقفًا مغايرًا للخلفاء العباسيين السّابقين من ظهور دولة الأدارسة؛ فقد كانَ حريصًا على بقاء المغرب متَّصِلاً بدولته اتّصالًا وثيقًا، وقد عَلِمَ ضعْفَ الأمراء السَّابقين عن مقاومة ثوّار المغرب, لأسباب عديدة، منها: طولِ المَسافة، ووعورة طريقها، أو رُبَما أنَّ العبَّاسيّين لم يكونوا مَقبولين لدى قبائل الأمازيغ السَّاكنة في تلك المناطق، ولذلكَ، أحدثَ الرّشيدُ دولةَ الأغالبة[١٢٠] ؛ لتكونَ سَدّاً منيعًا في وجْهِ الدُّوَلِ المُستحدَثةِ في المغرب[١٢١]، وتَدينُ بالولاءِ السِّياسيّ له، وتكونُ التَّبعيَّة الاسميَّة أيضا لدولة الخلافة.

المصادر والمراجع:

١. ابن الأبار، أبوعبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار، (ت، ٦٥٨)، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس،ط ٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥.
٢. ابن الخطيب، الوزير أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسي الشهير بلسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٤ هجري)، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يتعلق بذلك من كلام؛ تحقيق سيد كسروي حسن، ط ١، بيروت، دار

الكتب العلمية، ٢٠٠٢م/١٤٢٤هـ.
٣. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب، والعجم، والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون، اعتنى بتصليح ألفاظه والتعليق عليه: تركي فرحان المصطفى، ط ١، بيروت، دار إحياء التراث، ١٩٩٩ م /١٤١٩ هـ .
٤. ابن خياط، خليفة بن خياط العصفوري (ت ٢٤٠ هـ)، تاريخ خليفة بن خياط، رواية تقي بن خالد، تحقيق: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٣ م /١٤١٤ هـ.
٥. ابن عذاري، المراكشي (ت اواخر القرن السابع الهجري)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج ١، تحقيق: ج. س. كولان وإليفي بروفنال، ط ٥، بيروت، دار الثقافة، ١٩٩٨م/ ١٤١٨هـ.
٦. ابن فرحون، الإمام القاضي ابراهيم بن نور الدين المعروف بابن فرحون المالكي (ت ٧٩٩هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: مأمون محيي الدين الجنان، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م/١٤١٧هـ.
٧. الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الإدريسي الحموي الحسني المعروف بالشريف الإدريسي (ت ٥٥٨ هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط ١، بيروت، علم الكتاب، ١٩٨٩م/١٤٠٣هـ.
٨. بروفسنال، ليفي، الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة: السيد محمود عبد العزيز سالم، ومحمد صلاح الدين حلمي، القاهرة، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها.
٩. الجيلالي، عبد الرحمن محمد، تاريخ الجزائر العام، ط ٤، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٨٢م/١٤٠٢هـ.
١٠. حمادة، محمد ماهر، الوثائق السياسية والادارية: الأندلس وشمال افريقية، دراسة ونصوص، ط ٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م/١٤٠٦هـ.
١١. زكار، سهيل، تاريخ العرب والإسلام، ط ٣، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٩م/١٣٩٩هـ.
١٢. سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٣م.

١٣. الأشعري، الإمام أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري (ت ٣٣٠ هـ)، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين؛ تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، صيدا، المكتبة العصرية، ١٩٩٥م/١٤١٦هـ.
١٤. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، تاريخ الأمم والملوك؛ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٧م/١٤٠٧هـ.
١٥. عبد الحميد، سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، دولة الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة، حتى قيام الفاطميين، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٧٩م.
١٦. العروي، عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، ط ١، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٤م.
١٧. الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ المغرب والأندلس، جامعة القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٩٠م.
١٨. الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف الكندي المصري (ت ٣٥٠ هجري)، كتاب ولاة مصر، ط ١، ١٩٨٢م.
١٩. مؤنس، حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط ١، القاهرة، دار ومطابع المستقبل، ١٩٨٠م.
٢٠. محمود اسماعيل، الخوارج في المغرب الإسلامي: ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٧٦م.
٢١. المنبجي، أغابيوس بن قسطنطين المنبجي (من القرن الرابع الهجري)، المنتخب من تاريخ المنبجي؛ تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط ١، لبنان، طرابلس، دار المنصور، ١٩٨٦م/١٤٠٦هـ.
٢٢. الناصري، الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت ١٣١٩هـ)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، مطبعة دار الكتب، ١٩٥٤م.
٢٣. الهلالي الميلي، مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزائر، مكتبة النهضة الجزائرية، ١٩٦٣م.
٢٤. ياقوت، الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، ط ٢، بيروت، دار صادر، ١٩٩٥م.

الهوامش:

١- محمود إسماعيل: الأدارسة، ص ١٠٣.
٢- سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص ٣٨٤.
٣- الميلي: تاريخ الجزائر، ج ٢، ص ٨١.
٤- الميلي: المرجع السابق ، ج٢ ،ص٨١.
٥- محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص ١٠٤.
٦- الفقي: تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٣٧.
٧- ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ح٢، ص ٣٧٢
٨- ابن فرحون: الديباج المذهب، ص ٧٧
٩- وردت هذه الرسائل في (المبرد، الكامل، ج ٢، ص ٧٨٩)، (ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٧)
١٠- ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج ٢، ص ٣٧٢
١١- ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٧
١٢- المنبجي: المنتخب من تاريخ المنبجي، ص ١٢٣
١٣- الطبري: الأمم والملوك، ج ٧، ص ٥٥٢
١٤- ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٤١
١٥- الطبري: الأمم والملوك، ج ٧، ص ١٩٢
١٦- فخ: وادي بالقرب من مكة يبعد عنها ستة أميال (ياقوت: معجم البلدان ج٤، ص ٢٣٧)
١٧- سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص ٣٨٠-٣٨١
١٨- ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٨٢
١٩ - ابن عذاري: المصدر السابق، ج١, ص ٨٣
٢٠- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص ٢٨٣.
٢١- الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج ٢، ص ١٨٢
٢٢- مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ١١١
٢٣- ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ١١
٢٤- راشد: أحد موالي إدريس يقال عنه إنه بربري، واتصف بالشجاعة، والعقل، وحسن التدبير، وكان ذا حزم ولطف (سالم، تاريخ المغرب، ص ٣٨١)
٢٥- الهلالي الميلي: تاريخ الجزائر، ج ٢، ص ٨٢. سالم، المرجع السابق، ص ٣٨١
٢٦- واضح: ذكره معظم المؤرخين على أنه صاحب بريد مصر، بينما ذكره الكِنديّ بأنَّه والي مصر قبل الخليفة العباسي المهدي في جمادى الآخرة سنة ١٦٢، وأنه مولى أبي جعفر، وليس صالح بن منصور(الكندي، ولاة مصر، ص ٩٨) كما ذكر ذلك ضمناً ابن الخطيب فقال: ((فالتحق إدريس منهما بمصر، ومعه مولى

له اسمه راشد، وكان بمصر عاملاً للمهدي من المعتقدين برأي الشيعة، فأنذر بهما، فتعامى عنهما، وأشار إليهما بالنجاة وتعجيل الخروج))(ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج ٢، ص ٣٧٢)

٢٧- ابن خلدون: المرجع السابق،ج ٤، ص ١٠

٢٨- مدينة وليلى: مدينة قديمة تقع على طرف جبل زرهون بين فاس ومكناسة حالياً، وهي عاصمة تلك المنطقة الغنية بخصبها، وكثرة مياهها، وزرعها، التي كانت تسكنها قبائل أوربة البرنسية في ذلك الوقت (سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ص ٤٢٨)

٢٩- ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٨٣

٣٠- الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج ٢، ص ١٨٢

٣١- سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج ٢، ص ٤٢٩

٣٢- الهلالي الميلي: تاريخ الجزائر، ج ٢، ص ٨٤

٣٣- إسحق بن محمد بن عبد الحميد: هناك رواية تقول: إنَّه كان رئيس حكومة في مدينة وليلى، وتنازل لإدريس كي يتزعَّم هذه الحكومة، كما أنَّ هناك روايات أخرى، تقول: أنَّ إسحق كان على مذهب الاعتزال ولا ندري أنَّ اعتزالَه كان على أصولٍ سياسيَّةٍ، أو تابعًا لواصل بن عطاء، أم كان اعتزالًا للفتن (الجيلالي، المرجع السابق، ص ١٨٢)

٣٤- ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ١٠

٣٥- ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٨٤

٣٦- دولة برغواطة: دولة خارجة عن تعاليم الإسلام إلى حدَ أنَّ الكثير منهم وصفوها بالهرطقة الوثنية، وكان الفكر العقائدي لبرغواطة يجمع بين أفكار، ومذاهب، وأديان متعددة، من الفكر السِّنيّ، والخارجيّ، والشِّيعيّ وبعض أفكار اليهود، والوثنية البربرية. (سحر سالم: المغرب في العصر الإسلامي، ص ٣) ، أسسَ هذه الدولة صالح بن طريف البرغواطي الذي ادَّعى النُّبوَّة بتامسنا من بلاد المغرب الأقصى على ساحل المحيط الأطلسي، فيما بين سلا وآسفي، وبرغواطة بطن من المصامدة، وكان والد صالح طريف يكنى أبا صبيح من قواد ميسره المطغري القائم بدعوة الصفرية ، ولمَّا انقرض أمر ميسرة بقي طريف قائم برغواطة بتامسنا، ويقال انه ادَّعى النبوة، وشرَّعَ لهم الشَّرائع ثم هلَك، فتولَّى مكانه ابنه صالح الذي أَسرف في الضلالة ، فشرَّع لهم صيام رجب، والأكل في شهر رمضان، وفرض عليهم عشرَ صلواتٍ، خمسةً في الليل، وخمسةً في النَّهار، وأباح لهم أن يتزوج الرجل من النساء ما شاء، وحرَّم عليهم الزواج من بنات العم، وأمرَهم بقتل السَّارق، وحرَّم عليهم أكلَ الدَّجاج، إلى غير ذلك من الشرائع التي لا مجال لذكرها (الناصري: الاستقصا،ج١،ص ١١٤-١١٥.)

٣٧- مؤنس: معالم تاريخ المغرب العربي، ص ١١٢

٣٨- ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٥

٣٩- مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ١١٢

٤٠- سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج ٢، ص ٤٣٠

٤١- ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج ٢، ص ٣٧٣
٤٢- سحر سالم: المغرب في العصر الإسلامي، ص ٣
٤٣- ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ١٦
٤٤- ابن الخطيب: المصدر السابق، ج ٢، ص٣٧٣. ابن خلدون، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٦
٤٥- ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٨٤
٤٦- الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج ٢، ص ١٨٤
٤٧- نص الرسالة: بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد فالحمد لله رب العالمين، لا شريك له، الحي القيوم، والسلام على جميع المرسلين، وعلى من اتبعهم، وآمن بهم أجمعين. أيها الناس: إن الله بعث نبيه محمداً (صلى الله عليه وسلم)، بالنبوة وخصه بالرسالة، وحباه بالوحي، فصدع لأمر الله، وأثبت محبته، وأظهر دعوته، وإن الله جل ثناؤه خصنا بولايته وجعل فينا ميراثه، ووعده فينا وعداً سيفي له به، فقبضه إليه محموداً لا حجة لأحد على الله ولا على رسوله (صلى الله عليه وسلم)، فلله الحجة البالغة، فلو شاء لهداكم أجمعين. فخلفه الله جل ثناؤه بأحسن الخلافة، غذانا بنعمته صغاراً وأكرمنا بطاعته كباراً، وجعلنا الدعاة إلى العدل القائمين بالقسط المجانبين للظلم، ولم نمل – إذ وقع الجور– طرفة عين من نصحنا أمتنا، والدعاء إلى سبيل ربنا جل ثناؤه.

فكان مما خلفته أمته فينا أن سفكوا دماءنا، وانتهكوا حرمتنا، وأيتموا صغارنا، وقتلوا كبارنا، وأثكلوا نساءنا، وحملونا على الخشب، وتهادوا رؤوسنا على الأطباق، فلم نكل، ولم نضعف، بل نرى ذلك تحفة من ربنا – جل ثناؤه–وكرامة أكرمنا بها، فمضت بذلك الدهور، واشتملت عليه الأمور، وربي منا عليه الصغير وهرم عليه الكبير (حماد: الوثائق السياسية، ص ١٣٦-١٣٧)

٤٨- حماد: الوثائق السياسية والإدارية، ص ١٣٦
٤٩- سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص ٣٨٤-٣٨٥
٥٠- سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج ٢، ص ٤٣٥
٥١- ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج ٢، ص ٣٧٣
٥٢- سعد زغلول، المرجع السابق، ص ٤٣٥-٤٣٦
٥٣- ابن الخطيب: أعمال الأعلام ، ص ٣٧٣
٥٤- حسب رواية ابن خلدون والطبري أن سليمان الشماخ حمل رسالة من الرشيد إلى إبراهيم بن الأغلب عامل الرشيد على إفريقيا فجهزه للحاق بإدريس (ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ١٦)(الطبري، الأمم والملوك، ج ٨، ص ١٩٩)
٥٥- سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص ٣٨٦
٥٦- ابن الخطيب: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٧٣
٥٧- ابن الخطيب: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٧٣
٥٨- سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص ٣٨٧

٥٩- ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج ٢، ص ٣٧٣-٣٧٤
٦٠- السنون: ما استاكت به الأسنان ((سواك))
٦١- الطبري: الأمم والملوك، ج ٨، ص ١٩٩. ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ١٠
٦٢- هناك رواية أوردها ابن الخطيب تقول إن الشماخ دس لإدريس السم في البطيخ ((جعل له السم في دلاعة))
ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج ٢، ص ٣٧٤
٦٣- سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج ٢، ص ٤٣٦
٦٤- فقال في ذلك بعض الشعراء – أظنه الهنازي:
أتظن يا إدريسُ أنَّك مُفْلِت كيدَ الخليفة أو يفيدُ فرار
فليدركنَّك أو تحلّ ببـلدة لا يهتدي فيها إليك نهار
إنَّ السَّيوفَ إذا انتضاها سخطه طالت وقصر دونها أعمار
ملك كأن الموت يتبع أمره حتى يقال تطيعه الأقدار
ا((الطبري: الأمم والملوك، ج ٨، ص ١٩٩)
٦٥- الطبري: الأمم والملوك، ج ٨، ص ١٩٩
٦٦- ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ١٠
٦٧- الطبري: المصدر السابق، ج ٨، ص ١٩٩
٦٨- ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ٨٣
٦٩- سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص ٣٨٨
٧٠- الهلالي الميلي: تاريخ الجزائر، ج ٢، ص ٨٤
٧١- الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ١٥٤
٧٢- العروي: مجمل تاريخ المغرب، ج ٢، ص ١٨
٧٣- السواد: هي المنطقة الجنوبية من دجلة والفرات وصفت بذلك لشدة الخضرة وكثافة الأشجار.
٧٤- الأشعري: المصدر السابق، ج١، ص ١٥٤
٧٥- العروي: مجمل تاريخ المغرب، ج ٢، ص ١٨ – ١٩
٧٦- مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ١١٣
٧٧- ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج ٢، ص ٣٧٤
٧٨- سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص ٣٨٨ – ٣٨٩
٧٩- ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ١٦
٨٠- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب، ص ٤٤٠ – ٤٤١
81- قال إبراهيم بن الأغلب يخاطب الرشيد:
ألم ترني أهلكت بالكيد راشداً وإني لأخرى لابن إدريس ساهر
فتاه أخو عتكّ بمهلك راشد وقد كنت فيه ساهراً وهو راقد

ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج ٢، ص ٣٧٥

٨٢ –ابن الخطيب، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٧٤ – ٣٧٥

٨٣– العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج ٢، ص ٢١

٨٤– مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ١١٤

٨٥– ابن خلدون: العبر،ج ٤، ص ١٦

٨٦ ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ص ٨.

٨٧ – ابن خلدون: العبر، ج٤، ص١٦.

٨٨ الناصري الاستقصا: ج١، ص١٦٥–١٦٦.

٨٩– فاس: مدينة مشهورة كبيرة، على بَرِّ المغرب من بلاد البربر، وهي حاضرة البحر، وأجمل مدنِهِ قبل أنْ تختط مراكش، وفاس مختطّة بين ثنيتين عظيمتين، وقد تصاعدت العمارة في جنبيها على الجبل، حتى بلغت مستواها من رأسه، وقد تفجرَّت كلها عيونًا تسيلُ إلى قرارة واديها، إلى نهر متوسط مستنبط على الأرض، منبجسٍ من عيون في غربيها على ثلثي فرسخ منها بجزيرة دوي، ثم ينساب يميناً وشمالا، في مروج خضر، فإذا انتهى النَّهر إلى المدينة طلب قرارتها، فيتوزّع منه ثمانية أنهار تشف المدينة عليها نحو ستمائة رحًى، في داخل المدينة كلها دائرة لا تبطل ليلاً ولانهارا، وتدخل من تلك الأنهار في كل دار ساقية ماء كبار وصغار ، وقلعتها في أرفع موضع فيها، يشقها نهر يسمى الماء المفروش، إذا تجاوز القلعة أدار رحًى هناك، وفيها ثلاثة جوامع يُخْطَبُ يومُ الجمعة في جميعها، وهي مدينتان عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين، وهي أكثر بلاد المغرب يهوداً يختلفون منها إلى جميع الآفاق (ياقوت، معجم البلدان ،ج٤، ص ٢٣٠).

٩٠– ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج ٢، ص ٣٧٥

٩١ – الادريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص ٢٣١.

٩٢– مؤنس، المرجع السابق، ص ١١٤

٩٣– سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج ٢، ص ٤٥٢

٩٤– العروي: مجمل تاريخ المغرب، ج ٢، ص ٢٢

٩٥– سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج ٢، ص ٤٥٦

٩٦– مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ١١٤

٩٧ ابن وردان: تاريخ مملكة الأغالبة، ص ١٤.

٩٨ الأغالبة: كان من بين كبار عرب إفريقيا رجل يسمّى الأغلب بن سالم بن عقال التّميمي من أهل مصر, وكان من كبار رجال الجيش، وعندما أرسلت الخلافة الوالي محمد بن مقاتل العكي إلى المغرب كلفت الأغلب بن سالم بالمسير معه في نفر من جند مصر فدخل إلى المغرب، واستقرَّ والياً على الزاب، وكان هناك عددٌ كثيرُ من قبيلة تميم، ثمَّ قتل الأغلب بن سالم في حرب الخوارج، فأقام هرثمة ابنه إبراهيم والياً على الزاب، وكان إبراهيم شاباً نشيطاً (مؤنس، معالم، ص ٨٢) فقيهاً، عالماً، شاعراً، خطيباً، ذا رأي، وبأس، وحزم وعلم بمكايد الحروب، جريء الحنان، طويل اللسان، وهو أول من اتخذ العبيد لحمل سلاحه واستكثر من طبقاتهم

(ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ح٢،ص ٢٩٧) أقامه الرشيد على إفريقيا سنة ١٨٤هـ/ ٨٠٠م، (الطبري، الأمم وملوك، ح٨، ص ٢٧٢). وقد كان لتربية إبراهيم بن الأغلب الدينية أثرٌ كبيرٌ في ثقافته الظاهرة، فقد تتلَّمذ على يد الليث بن سعد الفهمي، الذي وهب لإبراهيم جارية تدعى جلاجل، وهي أم ولده زيادة الله، (ابن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، ص ٣٤.)

٩٩ – الهلالي الميلي: تاريخ الجزائر، ح٢، ص١٠٣.

١٠٠ – محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص ٣٩٥.

١٠١ – ابن وردان: تاريخ مملكة الأغالبة، ص ٣١.

١٠٢ – سهيل زكار: تاريخ العرب والإسلام، ص ٤٨٨.

١٠٣ – محمود إسماعيل: الأدارسة، ص ١١٥.

١٠٤ – زغلول: تاريخ المغرب العربي، ح٢، ص ٤٨٦–٤٨٧.

١٠٥ – سهيل زكار: تاريخ العرب والإسلام، ص ٤٨٨.

١٠٦ – محمود اسماعيل: الأدارسة، ص ١١٦.

١٠٧ – ابن خلدون: العبر، ح٤، ص ١٦.

١٠٨ – قال إدريسُ الثّاني يستعطف بهلول بن عبّاد الواحد، ويذكره، بمكر ابنُ الأغلب:

أبهلول قد حمّلت نفسك خطة : تبدّلت منها ضلة برشاد
أضلك إبراهيم مع بعد داره : فأصبحت منقاداً من غير انقياد
كأنك لم تسمع بمكر ابن الأغلب : وقدما رمى بالكيد كل بلاد
ومن دون ما فتنك نفسك خالياً : ومناك إبراهيم شوك قتاد

(الناصري: الاستقصا، ح١، ص١٦٤)

١٠٩ – كتب إدريس الثاني كتاباً إلى إبراهيم ابن الأغلب يذكره بقرابته من رسول الله(صلّى الله عليه وسلم) وفي أسفل الكتاب الأبيات التالية من الشعر: (ابن الآبار، الحلة السيراء، ح١، ص ٥٥).

أذكر إبراهيم حق محمدٍ : وعترته والحق خير مقولِ
وأدعوه للأمر الذي فيه رشده : وما هو لولا رأيه بجهولِ
فإن آثر الدنيا فأن أمامه : زلازل يوم لعقاب طويل

١١٠ – ابن الآبار: الحلة السيراء، ح١، ص ٥٥.

١١١ – الهلالي الميلي: تاريخ الجزائر، ح٢، ص٨٨.

١١٢ – ابن خلدون: العبر، ح٤، ص ١٧.

١١٣ – محمود إسماعيل: الأدارسة، ص ١٢٤–١٢٥.

١١٤ – تمكن زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب من فتح جزيرة صقلية حيث ولى أسد ابن الفرات على الجيش الذي وجهه لفتح صقلية سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م، (أبي العرب تميم، كتاب طبقات علماء إفريقيا، ص ٨٣).

١١٥ – ابن الخطيب: أعمال الإعلام، ح٢، ص ٢٩٩.

١١٦ – محمود إسماعيل: الأدارسة، ص ١٢٥–١٢٦.

١١٧ – ابن الآبار: الحلة السيراء، ح١، ص ٥٤

١١٨ ابن عذاري: البيان المغرب، ح١، ص ٢١١.

١١٩ – محمود إسماعيل: الأدارسة، ص ١٢٧.

١٢٠ – الأغالبة: كان من بين كبار عرب إفريقيا رجل يسمّى الأغلب بن سالم بن عقال التّميمي من أهل مصر, وكان من كبار رجال الجيش، وعندما أرسلت الخلافة الوالي محمد بن مقاتل العكي إلى المغرب كلفت الأغلب بن سالم بالمسير معه في نفر من جند مصر، فدخل إلى المغرب، واستقرَّ والياً على الزاب، وكان هناك عددٌ كثيرُ من قبيلة تميم، ثمَّ قتل الأغلب بن سالم في حرب الخوارج، فأقام هرثمة ابنه إبراهيم والياً على الزاب، وكان إبراهيم شاباً نشيطاً (مؤنس، معالم، ص ٨٢) فقيهاً، عالماً، شاعراً، خطيباً، ذا رأي، وبأس، وحزم وعلم بمكايد الحروب، جريء الحنان، طويل اللسان، وهو أول من اتخذ العبيد لحمل سلاحه واستكثر من طبقاتهم (ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ح٢،ص ٢٩٧) أقامه الرشيد على إفريقيا سنة ١٨٤هـ/ ٨٠٠م، (الطبري، الأمم وملوك، ح٨، ص ٢٧٢). وقد كان لتربية إبراهيم بن الأغلب الدينية أثرٌ كبيرٌ في ثقافته الظاهرة، فقد تتلَّمذ على يد الليث بن سعد الفهمي، الذي وهب لإبراهيم جارية تدعى جلاجل، وهي أم ولده زيادة الله، (ابن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، ص ٣٤.)

١٢١ – الهلالي الميلي: تاريخ الجزائر، ح٢، ص١٠٣.